



## الفصل الثاني

### أثر المحبة في أساليب وسائل الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة

المطلب الأول: أثر المحبة في الحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الثاني: أثر المحبة في الجدل والجهاد

المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الوسائل المعنوية

المطلب الثاني: أثر المحبة في الوسائل المادية



## الفصل الثاني

### أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة

#### تمهيد

إن الدعوة إلى الله قامت على الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه ومبانيه، وشملت أصول الدين وفروعه، وخلق المسلم ومعاملاته، وانطلقت من تحقيق أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتحقيق الإحسان في العبادات وفي كل شيء، فإن الله يحب المحسنين، قال الله تعالى: ( وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )<sup>(١)</sup> ومن الإحسان أن يلزم الدعوة إلى الله المنهج الصحيح، والطريق القويم في تبليغ دعوة الله للناس، فيحسنوا استخدام أساليب الدعوة الشرعية، ويحسنوا اختيار الوسائل الدعوية بضوابط الشرع المرعية، وبذلك يحصل المقصود الشرعي من البلاغ ببذل الجهد في الإرشاد وهداية الناس إلى عبادة الله عز وجل، والتوفيق إلى ذلك في حكم إرادة الله القدريّة، فإن الله يهدي من يشاء بفضلِهِ ورحمته، ويضل من يشاء بحكمته وعدله، والمحبة في الدين قامت على اتباع الهدى والدعوة إلى الله قامت على النصيحة؛ ومن ضل أبي الهدى؛ فحققت مناصحته وحققت مفارقتة، وحق عليه العذاب، والنصيحة عنوان المحبة، والناصح محب الخير لمن ينصح، والذي لا يجب الناصحين مريض في قلبه، قال الله تعالى في دعوة نبي الله صالح عليه السلام: ( قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ )<sup>(٢)</sup> فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ )<sup>(٣)</sup> فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيْمِينَ )<sup>(٤)</sup> فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنفُورُ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ )<sup>(٥)</sup> فَإِنَّ النَّصِيحَةَ فِي الدِّينِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ، غَايَتُهَا تَبْلِيغُ الْحَقِّ وَدَحْضُ الْبَاطِلِ، وَهِيَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ أَسْلُوبٍ حَكِيمٍ، وَلِكُلِّ وَسِيلَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَهَذَا مِنْهُجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِمْ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)<sup>(٦)</sup> قَالَ الْبَقَاعِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ اخْبَةِ بَيْنَ صَالِحٍ وَمَنْ اسْتَكْبَرَ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: (ولعله وحد قوله: {رسالة ربي} لكون آيته واحدة {ونصحت} وقصر الفعل وعده باللام فقال: {لكم} دلالة على أنه خاص بهم، روي أنه خرج عنهم في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، وكان قومه ألفاً وخمسمائة دار، وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم<sup>(٧)</sup>). ولما كان التقدير: ففعلت معكم ما هو مقتضى لأن تحبوني لأجله، عطف عليه قوله: {ولكن} لم تحبوني، هكذا كان الأصل ولكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخلقاً لهم مع كل ناصح فقال: {لا تحبون} أي حاكياً لحالهم الماضية {الناصحين} أي كل من فعل فعلي من النصح التام<sup>(٨)</sup> وبيان الدعوة

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة الأعراف: ٧٦ - ٧٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، حديث رقم: ٥٧ (٢١/١). وانظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٢٠٥ (٥٣/١).

(٤) مدائن صالح : ثمود أمة عظيمة من العرب البائدة وهم أبناء ثمود بن جاثر بجيم ومثلثة كما في القاموس ابن إرم بن سام بن نوح فيلتقون مع عاد في إرم وكانت مساكنهم بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بين الحجاز والشام، وهو المكان المسمى الآن مدائن صالح وسمي في حديث غزوة تبوك: حجر ثمود. انظر: التحرير والتنوير - تفسير ابن عاشور (١٦٦/٨).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ج ٧، ص: ٧٥١.

وإرشادهم للناس يحتاج إلى أساليب وفق الدلائل الشرعية وهذه الأساليب، منها ما جاءت مجموعة مفصلة في قوله تعالى: ( اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ )<sup>(١)</sup> قال ابن جرير في تفسيره: ( قول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ( اذْعُ ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ( إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ) يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقها، وهو الإسلام ( بِالْحُكْمَةِ ) يقول بوحى الله الذي يوحىه إليك وكتابه الذي يترله عليك ( وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ ) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تزييله، كالتى عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ( وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك )<sup>(٢)</sup> ومن هذه الأساليب ما جاءت في آيات أخر مفردة محددة، كقول الله تعالى: ( وَفَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )<sup>(٣)</sup> وجاءت أساليب الدعوة أيضا في آيات أخر ضمن قصص وأخبار الرسل مع أقوامهم، ومنها ما جاءت في سياق السنة النبوية القولية أو الفعلية كالجدال بالتي هي أحسن وضرب الأمثال وأخبار السابقين، والمباهلة والجهاد بأنواعه، والقدوة الحسنة، وهذه الأساليب وغيرها لها أثر عاطفي وعقلي وحسي على المدعوين؛ يتجلى تأثيره في مدى استجابتهم للدعوة أو إعراضهم، فمتى استخدمت هذه الأساليب ووسائلها الدعوية المعنوية والمادية بشكل صحيح، أثمرت في نتائجها، وحقت النتائج السليمة، ومن عوامل النجاح وقوة التأثير أن تكون المحبة ذات أثر في الأسلوب والوسيلة، أي متضمنة لها؛ بتحقيقها بين الداعية والمدعو وتحقيقها بين المدعو ومضامين الدعوة، وكذلك بين الدعاة أنفسهم، فتكون الأساليب والوسائل مؤثرة ومحبة للنفس ومحقة الغاية من الدعوة بحصول الهداية ونشر المحبة بين الناس على الوجه الشرعي الذي يسعد به الناس في الدنيا والآخرة. ومما يؤكد عليه العلماء التأصيل لمقاصد الشرع الحكيم وهي ثلاثة، قال الشوكاني في كتابه إرشاد الثقات: ( وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سورته، وفي غالب قصصه وأمثاله، فهي ثلاثة مقاصد، يعرف ذلك من له كمال فهم، وحسن تدبر، وجودة تصور، وفضل تفكير، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات. ولما كانت هذه الثلاثة المقاصد، مما اتفقت عليه الشرائع جميعا، كما حكى ذلك الكتاب العزيز في غير موضع أحببت أن أتكلم هاهنا على كل مقصد منها بإيراد ما يوضح ذلك من الكتب السابقة وعن الرسل المتقدمين، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها؛ لما في ذلك من عظيم الفائدة وجيل العائدة )<sup>(٤)</sup> وفي هذا الفصل أعرض أساليب ووسائل الدعوة وأثرها في إشاعة المحبة وفق ما جاء بلفظ الحب الصريح في الكتاب والسنة، وموضحا أثر المحبة فيها وفق نصوص الكتاب والسنة .

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٧، ص: ٣٢١.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١،

## المبحث الأول أثر المحبة في أساليب الدعوة

تعريف الأسلوب في اللغة:

أصل كلمة أسلوب من (سلب) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ( السين واللام والباء أصل واحدٌ، وهو أَخَذُ الشَّيْءِ بَحْفَةٍ واختطاف. يقال سلبتهُ ثوبَهُ سَلْباً. والسَّلْبُ: المسلوب. وفي الحديث: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ". والسَّلْبُ: المسلوب. والسَّلْبُ من النوق: التي يُسَلَبُ ولدها والجمع سُلْبٌ )<sup>(١)</sup> وورد عند الجوهري في الصحاح: ( سلبت الشيء سَلْباً. والاستلابُ: الاختلاس. والسَلَابُ: واحد السُلْبِ )<sup>(٢)</sup> وعند ابن منظور في لسان العرب ( الأسلوبُ بالضم: الفنُّ؛ يقال أخذ فلانٌ في أساليبٍ من القول، أي في فنونٍ منه )<sup>(٣)</sup>

تعريف الأسلوب الدعوي في الاصطلاح:

الأسلوب في الدعوة إلى الله اصطلاح معاصر، ظهر مع بروز علم الدعوة بين العلوم الشرعية المتخصصة، وكان في السابق ضمن علم أصول الفقه في الدين، ويتمثل في شخصية المسلم من حيث التطبيق لأوامر الشريعة، ومدى تقديره لمسؤولية البلاغ لدين الله ومدى حصيلته من الفقه في الدين وطرق تبليغه، وقد تعددت التعريفات له واجتمعت في معنى واحد، وإن اختلفت العبارات من حيث الضيق والاتساع في المعنى أو التطبيق، وهذا المعنى يحصر في الطرق التي يبلغ بها دين الله للناس، ومن التعريفات المعاصرة له ما يلي:

– د. عبد الكريم زيدان: ( العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه وهذه هي أساليب الدعوة )<sup>(٤)</sup> ووصف الأساليب الناجحة بأنها التي تقوم على مراحل بقوله ( تقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعوين ومعرفة الدواء والتأكيد على ذلك، وإزاحة الشبهات التي تمنع المدعوين

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة ( سلب ).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة ( سلب ).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة ( سلب ).

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩هـ، ص: ٤١١.

من رؤية الداء والإحساس به، وترغيبهم في استعمال الدواء وترهيبهم من تركه ثم تعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم<sup>(١)</sup>.

– د. محمد البيانوني: (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته)<sup>(٢)</sup>

– أن تكون الأساليب ضمن المنهج الدعوي القويم، وهي كذلك، حيث تمثل الأساليب الأمور الموصلة لمضامين منهج الدعوة القويم بتكامل أركانه، فقد عرف الدكتور عبد الرحيم المغذوي أركان منهج الدعوة بأنها: ( ما يتم به منهج الدعوة ويقوم عليه، ولا يتحقق وجوده إلا بها )<sup>(٣)</sup>

ومما سبق من التعريفات لأساليب الدعوة، يمكن لي أن أحدد الأسلوب الدعوي بأنه: الطريقة الشرعية العلمية القويمة الناجحة التي يستخدمها الدعاة إلى الله في تبليغ دين الله للمدعوين. ومن اليقين أن الحجة تقوى بها الأساليب الدعوية وتضعف، وبها يكون الأثر، وسوف أعرض هنا أثر الحجة في بعض الأساليب الدعوية الرئيسة، والتي جاءت بلفظ الحب حسب نصوص الكتاب والسنة وأبين أثرها في الحجة وأثر الحجة فيها وفق ما يلي:

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص: ٤٢٠.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ، ص: ٤٧.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الحليم محمد المغذوي، الرياض: دار الحضارة، ط ١، ١٤٢٩ هـ، ج ١، ص: ١١٤.

## المطلب الأول: أثر المحبة في الحكمة والموعظة الحسنة

### أولاً: أثر المحبة في أسلوب الحكمة

تعريف الحكمة في اللغة:

أصل كلمة الحكمة من (حكم) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه)<sup>(١)</sup> وأورد الجوهري في الصحاح: (الحكم: مصدر قولك حكم بينهم يحكم أي قضى. وحكم له وحكم عليه. والحكم أيضاً: الحكمة من العلم. والحكيم: العالم، وصاحب الحكمة. والحكيم: المتقن للأمور)<sup>(٢)</sup> وعند ابن منظور في لسان العرب (وقيل الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويبتقنها)<sup>(٣)</sup>

تعريف الحكمة في الاصطلاح:

يتضح لنا المعنى الاصطلاحي للحكمة من معانيها في اللغة، والتي تجمل في الإتقان والمعرفة القائمة على العلم وإصابة الحق بالعلم والعقل، وقد فسرت في الشرع بعدة معان منها: السنة<sup>(٤)</sup>، ومنها القرآن والفقه به، ومنها الإصابة في القول والعمل، وقيل العلم والعمل به، قال البغوي في تفسيره (وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ} يعني القرآن {وَالْحِكْمَةُ} قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة<sup>(٥)</sup>: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي الأحكام والقضاء وقيل: الحكمة الفقه. قال أبو بكر بن دريد<sup>(٦)</sup>: كل كلمة وعظمتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة)<sup>(٧)</sup> قال ابن القيم في مدارج السالكين: (والحكمة حكمتان: علمية وعملية فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمرأ قدرأ وشرعاً، والعملية

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (حكم).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (حكم).

(٣) - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (حكم).

(٤) قاله الحسن وغيره، تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٧) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ١٥٢.



كما قال صاحب المنازل<sup>(١)</sup>: وهي وضع الشيء في موضعه قال: وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره عنه<sup>(٢)</sup> وفي غزوة حنين عالج النبي ﷺ ما وقع في نفوس الأنصار حين تقسيم الغنائم وإعطاء المؤلفة قلوبهم دونهم، قال ابن حجر: ( وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤسائهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم، فسألوا عن الشاة والبعر والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم لهم حيا وميتا، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه )<sup>(٣)</sup> ومن أثر المحبة في أسلوب الحكمة ما يلي:

#### ١ - حكمة القول السديد وقوة البيان:

أمر الله المؤمنين بالقول السديد، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)<sup>(٤)</sup> قال ابن كثير في تفسيره: ( قول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَنْ كأنه يراه، وأن يقولوا {قَوْلًا سَدِيدًا} أي: مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ) عن عروة بن الزبير «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السَّامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كُلِّهِ. فقلتُ: يا رسولَ الله، أُلْمَ تَسْمَعُ ما قالوا؟ قال رسولُ الله ﷺ: قد قلتُ وعليكم ». ومن فوائد الحديث أن المؤمن يجب عليه عدم الجور في القول بل يختار الألفاظ السديدة المناسبة للمقام، وأن يبتعد عن ألفاظ الفحش والبذاءة وأن يتوق السب والشتم، فعندما دخل اليهود واستخدموا التورية في اللفظ بقولهم (السام عليكم) أي الموت عليكم بدل السلام، انتصرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وصرحت لهم بما يستحقونه من الرد وبما لعنهم الله في كتابه، ولكن الحكمة في القول تستدعي أفضل من ذلك وهو الرفق باختيار اللفظ المناسب لهم، واختصار القول كقوله ﷺ (وعليكم) وهؤلاء اليهود وغيرهم من المدعويين في حاجة هنا أثناء القدوم إلى الرفق في القول والأمر كله، فهو من محبوبات الله، ويشير المحبة ويؤدي إلى قبول الدعوة. والدعاة إلى الله كلما استخدموا الرفق نالوا حظهم من الخير والقبول عند الناس.

#### ٢ - حكمة الإحسان للعزیز الكريم إذا ذل:

(١) أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي . المتوفى : ٤٨١ هـ .  
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٢، ص: ٤٧٨ - ٤٧٩ .  
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ ، ج ٨ ، ص: ٤٩ .  
(٤) سورة الأحزاب: ٧٠ .

إن الحياة لا تصفو لأحد؛ لما فيها من الكدر والعثرات، وهذه المواقف لها مرارة وضيق على نفس الإنسان، ومن الحكمة في الدعوة أن يستثمر موقف العسر بتقديم اليسر لصالح هداية الناس، وذلك بتقديم العون والمساعدة، حيث تكون النفس مهيأة للقبول من وقف معها في ساعة العسرة، فضلاً على أن من خصال المسلم إغاثة الملهوف، وتفريج كرب المكروب، ونستلهم هذا الدرس الكريم من مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، عن أبي هريرة، يقول: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْلاً قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ<sup>(١)</sup>، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» فَقَالَ: عِنْدِي، يَا مُحَمَّدُ! خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ. وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ. وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ. حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ. فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ. إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ. وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ. فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَاعْتَسَلَ. ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لَا. وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَا، وَاللَّهِ! لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

إن موقف النبي ﷺ مع ثمامة ؓ أعطى دلالة كبرى على أثر المحبة في أسلوب الحكمة، حيث تولد عن الإحسان للكرام في موقف الذل، حب عظيم، قلب الكراهة الخالصة إلى مودة خالصة، ومن الحكم

(١) اليمامة منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة، وفتح تبع -أحد ملوك اليمن - حصون اليمامة وامتنع عليه الحصن الذي كانت فيه امرأة يقال لها (زرقاء اليمامة) فصابره تبع حتى افتتحه وقبض على زرقاء اليمامة وعلى صاحب الحصن. فصلبت هذه المرأة ويقال لها اليمامة، على بابها، فسميت باسمها. وكان اسم المكان قديماً (جوا) فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، وقال أهل السير كانت منازل طسم وجديس. ولما كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق في أول سنة سبع، ويقال في سنة ست، كتب إلى هودبة بن علي الحنفي وأهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام، وحضر وفداهم للمدينة، وكان في وفداهم ثمامة بن كبير بن حبيب، الذي يدعى مسيلمة، فلما انصرف وفد بني حنيفة إلى اليمامة ادعى مسيلمة الكذاب النبوة، فلما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فأوقع بأهل الردة من أهل نجد وما والاها في أشهر يسيرة، بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وأمره بمحاربة الكذاب مسيلمة. وهزم أهل اليمامة، وقتل الله مسيلمة الكذاب. انظر: فتوح البلدان للبلاذري (١٠٤/١). وانظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٤٢/٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة، حديث ثمامة، رقم: ٤٣٧٢ (١٧٠/٥). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وجواز المن عليه، حديث ثمامة، رقم: ٤٦٨٨ (١٥٨/٥).

المشتهرة النابعة من الأخلاق الإسلامية ( أكرموا عزيز قوم ذل ) قال الفضيل بن عياض يرحمه الله: ( ارحموا عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالما بين جهال)<sup>(١)</sup>

### ٣- حكمة الاستمرار في النصح:

النصيحة من أولويات دور الدعاة إلى الله تعالى، لأن من أصول الشريعة: الدين النصيحة، والنصيحة من لوازم الدعوة، وتتسم بالاستمرارية مع المدعوين لآخر لحظة في الحياة، كما فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب حين حضرته الوفاة.<sup>(٢)</sup> وكما فعل مع المنافق عبد الله بن أبي بن سلول، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ. قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ. قَالَ فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زَرَّارَةَ فَمَهْ<sup>(٣)</sup>. فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي قَدْ مَاتَ، فَأَعْطَنِي قَمِيصَكَ أَكْفِنُهُ فِيهِ، فَتَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ<sup>(٤)</sup>. وفي شرح سنن أبي داود للعيني، كلام قوي في حق الدعاة؛ حينما ينظر للأمر من أبعاد مختلفة، فتظهر حكمة بالغة، تؤدي إلى نتائج عظيمة: ( قوله: " يعود " جملة وقعت حالا من الرسول، وعبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين، وكان ظاهر النفاق، أنزل الله تعالى في كفره ونفاقه آيات من القرآن تتلى. فإن قيل: كيف جازت للنبي - عليه السلام - تكرمة المنافق، وتكفينه في قميصه؟ قلت: كان ذلك مكافأة له من عمل صنيع سبق له، وذلكم أن العباس ؓ عم رسول الله ﷺ لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا، وكان رجلا طوالا، فكساه عبد الله قميصه، فأراد النبي - عليه السلام - أن يكافئه على ذلك، لئلا يكون لمنافق عنده يد لم يجازه عليها، وليكون ذلك إكراما لابنه الصالح، فقد كان مسلما بريئا من النفاق وكان اسمه: الحباب، فقال رسول الله: أنت عبد الله بن عبد الله، الحباب اسم شيطان، وقد قيل للنبي - عليه السلام - لم وجهت إليه بقميصك، وهو كافر؟ فقال: إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا، وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب، فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله - عليه السلام - وكذلك ترحمه - عليه السلام - واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف، لأهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعي المسلم

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥ هـ، ص: ١٠٢.

(٢) انظر: المطلب الثاني: عوائق الاستجابة - من المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) سبق بيانه. انظر: فهرس الألفاظ الغريبة.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب في العيادة، حديث رقم: ٣٠٩٦ (١٥١/٣). قال الألباني: ضعيف الإسناد، لكن قصة القميص صحيحة.

إلى أن ينعطف على من وإلى قلبه لسانه، ورآه حتماً عليه<sup>(١)</sup> ويظهر من كلام العيني أثر المحبة في حكمة النصيحة والتكريم، وقد فهم النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين، فيما بعد، قال الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ)<sup>(٢)</sup> كما أن حب اليهود وأعداء الإسلام، مهلكة للمرء، وسوء ختام أن يموت على مخالفة العقيدة في الولاء والبراء، وهذا الذي أوقع ابن أبي في النفاق، من موالاته اليهود وكل من يعادي دعوة الإسلام، الذي يراه بعين الحقد أنه كان سبباً في صرف الناس عن تعصبيه زعيماً لهم قبل الهجرة النبوية إلى المدينة . وأحب النبي ﷺ البلاغ والنصيحة لهذا المنافق، ووعظه حتى في مرض موته، ولكن الران الذي على قلبه جعله يرد النصيحة، أما تكريم النبي ﷺ لابنه الصالح حبيب الناس في الإسلام، وهذا هو واجب الدعاة مراعاة أحكام الولاء والبراء وتأصيلها في نفوس المدعوين على أساس الحكمة والمصلحة القائمة للإسلام والمسلمين .

#### ٤- حكمة التخفيف على الناس:

إن من سنن النبي ﷺ التخفيف على أمته ورفقه بهم، لأنه كما وصفه الله تعالى بقوله عز وجل: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)<sup>(٣)</sup> ويظهر ذلك في كثير من سنته ﷺ، فلم يخرج لمن اجتمع في المسجد لصلاة الليل في رمضان، خشية أن تفرض عليهم، وكذلك في حثه الأمة على السواك عند كل صلاة ورفع المشقة عنهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)<sup>(٤)</sup>. فإن دين الإسلام قام على التيسير والتخفيف في أحكامه وشرائعه، وجعلها مناط القدرة والاستطاعة، فشرع المسح على الخفين، والقصر في الصلاة للمسافر وغيرها كثير، بل كل ما مظنته المشقة قام بتيسيره. قال السيوطي في كلامه عن القواعد الفقهية: (المشقة تجلب التيسير، الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)<sup>(٦)</sup> وقوله ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة. أخرجه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله<sup>(٧)</sup> وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «والذي ذهب به ما تركهها حتى لَقِيَ اللَّهَ، وما لَقِيَ اللَّهَ تعالى حتى ثَقُلَ عن الصلاة، وكان يُصَلِّي كثيراً مِنْ صَلَاتِهِ قَاعِداً - تعني الركعتين بعد

(١) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيثي الحنفي بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٦، ص: ١٢-١٣.

(٢) سورة التوبة: ٨٤.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجمعة-باب السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٨٧(٢/٤).

(٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٦) سورة الحج: ٧٨.

(٧) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ، ص: ٧٦.

العصر - وكان النبي ﷺ يُصَلِّيهِمَا، وَلَا يُصَلِّيهِمَا فِي الْمَسْجِدِ مَخَافَةَ أَنْ يُثْقَلَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ»<sup>(١)</sup>. نقل ابن بطال ماترجح لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدم سنية صلاة النافلة بعد العصر، قال: ( وأن عمر كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر بمحضر من الصحابة من غير نكير عليه، فدل أن صلاته عليه السلام، الركعتين بعد العصر خصوص له دون أمته )<sup>(٢)</sup> والشاهد هنا من هذا الحديث قول عائشة رضي الله عنها: ( وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ ) ومن واجب الدعاة إلى الله تعالى أن يظهرُوا الإسلام في صورته المتكاملة من أداء الفرائض وبيان وجه التيسير فيها، ويحثوا على النوافل والسنن ويبينوا فضلها وألا يضيقوا على الناس في متاعهم الحلال بالدنيا، وأن يتحلوا بخلق السماحة في دعوة الناس، فكل ذلك مما يجب الدين إلى الناس ويؤثر في هدايتهم واستقامتهم، وكما أن من محاب الله فرائضه؛ فإن من محابه أن تؤتى رخصه. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»<sup>(٣)</sup>. قال السرخسي: ( والرخصة في اللغة عبارة عن: اليسر والسهولة، يقال: رخص السعر إذا تيسرت الإصابة لكثرة وجود الإشكال وقلة الرغائب فيها، وفي عرف اللسان تستعمل الرخصة في الإباحة على طريق التيسير )<sup>(٤)</sup> ويتأكد من الحديث أن من أسلوب الحكمة التيسر والتخفيف على الناس في أمر الدنيا والدين؛ فهو جالب للمحبة بين الداعية والمدعو وله أثر في محبة الناس الدين. ويفرح الناس باليسر والحبوب، ومن الحكمة الاقتداء باليسر وأهله، عن عائشة رضي الله عنها قالت «نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سَوْدَةَ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ - وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِيئَةً - فَأَذَنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ، فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحَ بِهِ»<sup>(٥)</sup>. قال ابن حجر في الفتح (قوله فلأن أكون بفتح اللام فهو مبتدأ وخبره أحب وقولها مفروح أي: ما يفرح به من كل شيء )<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب ما يصلى بعد العصر من الفوات ونحوها، حديث رقم: ٥٩٠ (١٢١/١)

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص: ٢١٠.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٨٦٦ (١٠٧/١٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

(٤) أصول السرخسي، بيروت: دار الكتاب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ١، ص: ١١٧.

(٥) انظر صحيح البخاري - كتاب الحج - باب من قدم ضعفة أهله ليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر، حديث رقم: ١٦٨١ (١٦٦/٢). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الحج-باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليالي قبل زحمة الناس، حديث رقم: ٣١٧٨ (٧٦/٤).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص: ٥٣٠.

## ٥- حكمة إكرام السائلين والمحسنين والأخذ والعطاء بطيب نفس:

إن من حكم الإسلام العظيمة أنه نهي عن كهر السائل وفهره، وظلم اليتيم وقهره، وجعل من شكر النعمة الحديث بما على وجه التفكير والتذكر والشكر، قال الله تعالى: ( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٦١﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ )<sup>(١)</sup> أورد الإمام الطبري في تفسيره: (كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها)<sup>(٢)</sup>، ومن حكمة العلاقات الأخذ والعطاء بطيب نفس والصدق في الحديث، لأن استخدام القوة والمنازعة مفضية إلى المغالبة، فإن انتزاع الشيء من الناس عامة ومن أصحابه خاصة أمر ينافي الحكمة وله تبعات في النفوس تؤدي إلى الأحقاد وتؤجج العداوات، وكل هذه المعاني الحكيمة تفقه من موقف النبي ﷺ مع وفد هوازن بعد غزوة حنين، عن ابن شهاب ذكر غزوة أن مروان والمِسْوَر بن مخرمة أخبراه «أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال: إنَّ معي من ترون، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقُه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي، وقد كنتُ استأنيتُ بهم - وكان النبي ﷺ انتظرهم بضْعَ عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير رادِّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني رأيتُ أن أرُدَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يُطيبَ ذلك فليُفعل، ومن أحبَّ أن يكونَ على حظه حتى نُعطيه إياه من أول ما يُفيءُ الله علينا فليُفعل. فقال الناس: طيبنا لك ذلك.

قال: إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يَأْذَن، فارجعوا حتى يرفعَ إلينا عُرفاؤكم أمركم. فرجع الناس، فكلَّمهم عُرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيَّبوا وأذنوا. فهذا الذي بلغنا عن سبي هوازن. وقال أنسٌ قال عباسٌ للنبي ﷺ: فاديت نفسي وفاديت عقيلاً<sup>(٣)</sup>. ومن القيم الحكيمة العالية، الفرق في الطلب وأن تكون الشورى قبل فرض الأمر، وخاصة فيما يملك الناس ويخص حياتهم وأموالهم، وكذلك استخدام مبدأ العوض كي تجتمع الكلمة على سواء ويكون الأمر على رأس واحد، ويتضح ذلك من موقف النبي ﷺ في طلبه رد السبي إلى وفد هوازن قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني رأيتُ أن أرُدَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يُطيبَ ذلك فليُفعل، ومن أحبَّ أن يكونَ على حظه حتى نُعطيه إياه من أول ما يُفيءُ الله علينا فليُفعل. فقال الناس: طيبنا لك ذلك) وجوابهم هذا يعني المحبة واجتماع الكلمة وهي أثر من أسلوب الحكمة أدى إلى قوة في السمع والطاعة.

(١) سورة الضحى: ٩ - ١١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤٨٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب القسم وتعليق القنو في المسجد، حديث رقم: ٢٥٤٠ (٣/١٤٨).

## ٦- حكمة الحذر في الأزمات من أوجب الواجبات:

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) <sup>(١)</sup> وعن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله قوماً من جهينة فقاتلونا قتالاً شديداً. فلما صلبنا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلاً لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ذلك. فذكر ذلك لنا رسول الله قال وقالوا: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. فلما حضرت العصر، قال صفنا صفين. والمشركون بيننا وبين القبلة. قال فكبر رسول الله وكبرنا. ورکع فرکعنا. ثم سجد وسجد معه الصف الأول. فلما قاموا سجد الصف الثاني. ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني. فقاموا مقام الأول. فكبر رسول الله وكبرنا. ورکع فرکعنا. ثم سجد وسجد معه الصف الأول. وقام الثاني. فلما سجد الصف الثاني، ثم جلسوا جميعاً، سلم عليهم رسول الله <sup>(٢)</sup>. فإن المؤمن كيس فطن، يعيش حال التوازن في الرخاء والشدة، ومن التوازن في حال الأزمة ألا ينشغل بما يجب عن أمر قد يمنعه من واجب أو فرض أو يؤدي إلى مفسد عظيمة، بل من الحكمة أن يقدر الأمور بقدرها الصحيح بأداء حق محبوه على وجه يضمن له السلامة، ولا يقصر في ما يجب بتجاهل أو عمد نسيان، فإن ترك المحبوب الواجب من الخلل والزلل، وهذا ينافي الحكمة ويقضي على المحبة، ومن الدروس العظيمة في هذه الغزوة: إن من الحكمة الحذر من الأعداء لأنهم في بغض ينافي المحبة وكرهه تنافي المودة فتجعلهم يستثمرون الفرص لصالح القضاء على دين الله وأهله، وكذلك من الحكمة التمسك بالصلاة، حتى في حال الخوف؛ لأنها مصدر قوة ونصر في حياة المسلمين، وقد وصفها الأعداء هنا بما تستحق حيث قالوا: (إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد).

## ٧- حكمة الولاية لأهلها إمرة ورعاية:

أهل الولاية الخاصة، هم أهل مسؤولية، والمعنى مطرد أنهم محاسبون عن غيرهم؛ بما ولوا من أمرهم، من أجل ذلك عُدَّت الولاية بشروط شرعية تستلزم صفات محددة وقواعد ضابطة، ومن أهمها: القوة والأمانة والعدل والعلم والتواضع، وهي - شروط الولاية - جزء من شروط الولاية العظمى التي ذكرها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية، قال: (وَأَمَّا أَهْلُ الْإِمَامَةِ فَالشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِيهِمْ سَبْعَةٌ: أَحَدُهَا: الْعَدَالَةُ عَلَى شُرُوطِهَا الْجَامِعَةِ.

وَالثَّانِي: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْجِتْهَادِ فِي النَّوَزِلِ وَالْأَحْكَامِ.

وَالثَّالِثُ سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ لِيَصِحَّ مَعَهَا مُبَاشَرَةُ مَا يُدْرِكُ بِهَا.

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الخوف، حديث رقم: ١٩٨٣ (٢/٢١٣).

وَالرَّابِعُ: سَلَامَةُ الْأَعْضَاءِ مِنْ نَقْصٍ يَمْنَعُ عَنْ اسْتِيفَاءِ الْحَرَكَةِ وَسُرْعَةِ النُّهُوضِ.

وَالْخَامِسُ: الرَّأْيُ الْمُفْضِي إِلَى سِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ وَتَذْيِيرِ الْمَصَالِحِ.

وَالسَّادِسُ: الشَّجَاعَةُ وَالتَّجَدُّدُ الْمُؤَدِّيَّةُ إِلَى حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ.

وَالسَّابِعُ: النَّسَبُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ لَوُرُودِ النَّصِّ فِيهِ وَانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> فمن الحكمة ألا يلي الأمر إلا من كان مؤهلاً لذلك، رعاية لمصالح الناس، ورأفة به ومحبة، كونها تتبع بالحاسبة على الحقوق والواجبات التي تحملها أمانة ورعاية، ولهذا من أثر الحجة في الحكمة، المناصحة لمن لم يستوف الشروط والضوابط والصفات المؤهلة للولاية ألا يليها، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ» <sup>(٢)</sup>. وعند مسلم برواية أخرى، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: ( هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ، لَا سِيمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُظَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ، وَأَمَّا الْخَزْيُ وَالتَّوَلَّى فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْضِيَهُ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ، وَعَدَلَ فِيهَا، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ: " سَبْعَةٌ يُظَاهِمُ اللَّهُ " وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ هُنَا عَقِبَ هَذَا ( أَنَّ الْمُقْسَطِينَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ) <sup>(٣)</sup> وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَاجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُتَعَقِدٌ عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرَهُ ﷺ مِنْهَا، وَكَذَا حَذَرُ الْعُلَمَاءِ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَاتِقٌ مِنَ السَّلَفِ، وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا ) <sup>(٤)</sup>

## ٨- حكمة محاسبة النفس:

إن النفس لها حظ في الحياة الدنيا بالذكر الحسن، والسمعة الطيبة، ففي ذلك منقبة لها، وليس من الصلاح أن يزكي الإنسان نفسه، قال الله تعالى: ( فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ) <sup>(٥)</sup> بل الإنسان الصالح يتهم نفسه؛ كي يمضي بها إلى طريق أعلى ومقام أفضل مما هي عليه، بل عليه أن يصرف الحديث في تركيتها إلى من يرى أنه أفضل منه، فهذا دليل الصلاح وطهارة النفس، وكان مقياس الصحابة رضوان الله عليهم في التفاضل محبة رسول الله ﷺ لهم، عن الحسن قال: «قال رجل لعمر بن العاص: رأيت رجلاً مات رسول الله ﷺ وهو يحبه

(١) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: ٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم: ٤٨٢٤ (٦/٧).

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: ٤٨٢٥ (٦/٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٦، ٢٩٦.

(٥) سورة النجم: ٣٤.



أليس صالحاً؟ قال: بلى، قال: قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك وقد استعملك، فقال: قد استعملني فوالله ما أدري أحباً كان لي منه أو استعانة بي، ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر<sup>(١)</sup>. وبعد وفاة النبي ﷺ الذي كان يُعلم الصحابة بحبه لهم، بقي للمسلمين الصالحين منقبة عظيمة هي حبهم لرسول الله ﷺ عاطفة وعلماً وعملاً ويظهر ذلك باتباع سنته. فمن لوازم الداعية ألا يغتر بما قدم من دروس و أنشطة دعوية، بل يجعل لنفسه مقام التقصير ليكون أدعى لاستمرارية العمل في ميدان الدعوة، وأخلص لنفسه وطهارتها وتزكية لأعماله في قبولها.

#### ٩- حكمة الاختيار باليسر والبعد عن الإثم:

يتعرض الإنسان في مواقف حياته الشخصية والاجتماعية، إلى الحيرة في الاختيار، بين أمرين أو أشياء متعددة، لا يدري أيها يصيب، وأيها أصوب، ومن تأصيل المسألة دلالة من السنة النبوية عليها بما جاء بلفظ الحب، ففي حال الاختيار بين أمرين في الطاعات، السنة اختيار الأيسر أي الأسهل لأنه أرفق بالنفس، وأحرى بالاستمرار، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خَيْرَ بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمة الله عز وجل فيكون هو ينتقم لله عز وجل»<sup>(٢)</sup>. وفضلاً على الفائدة العظيمة من الحديث وهي كفاف المسلم يده عن الضرب والإساءة للآخرين إلا بحق، ومنافاة الانتقام للنفس لخلق المسلم، نعلم منه أن الاختيار بين الإثم والطاعة ليس فيه مقايضة بل فيه مفاصلة، وشاهده من الحديث: ( فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه ) قال ابن حجر في معنى أيسرهما: ( قوله بين أمرين أي من أمور الدنيا يدل عليه قوله ما لم يكن إثماً؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها، وأبهم فاعل خير ليكون أعم من أن يكون من قبل الله، أو من قبل المخلوقين، وقوله إلا أخذ أيسرهما أي أسهلها، وقوله ما لم يكن إثماً أي: ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم، فإنه حينئذ يختار الأشد، وفي حديث أنس عند الطبراني في الأوسط<sup>(٣)</sup>: إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن لله فيه سخط. ووقوع التخيير بين ما فيه إثم ومالا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح، وأما من قبل الله ففيه إشكال؛ لأن التخيير إنما يكون بين جائزين لكن إذا حملناه على ما يفضي إلى الإثم أمكن ذلك، بأن يخيره بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به، أن لا يتفرغ للعبادة مثلاً، وبين أن لا يؤتیه من الدنيا إلا الكفاف فيختار الكفاف، وأن كانت السعة أسهل منه والإثم على هذا أمر

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٨٠٧ (٣٤١/٢٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع فالحسن وهو البصري لم يسمع من عمرو بن العاص.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٩٥٦ (١٠٩/٤٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: المعجم الأوسط للطبراني - حديث من اسمه مصعب - حديث رقم: ٩١٥٢ (٧١/٩).

نسبي لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة له <sup>(١)</sup> وعلى المرء الحكيم إذا أخطأ في الاختيار، ألا يستمر عليه، بل يجعل لنفسه أوبة وخطا للرجوع إلى ما هو خير؛ لأنه أليق من الفشل الذي يصاحب الاستمرار فيما يعجز المرء عنه وقد ينقطع الأمر به لصعوبته، عن عبد الرحمن بن سمرّة رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: « يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها. وإذا خلقت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير» <sup>(٢)</sup>. أورد ابن بطل في شرحه لصحيح البخاري: (قال المهلب: فيه دليل على أنه من تعاطى أمراً وسولت له نفسه أنه قائم بذلك الأمر أنه يخذل فيه في أغلب الأحوال؛ لأنه من سأل الإمارة لم يسألها إلا وهو يرى نفسه أهلاً لها، فقد قال ﷺ: ( وكل إليها ) بمعنى لم يعن على ما أعطاه، والتعاطي أبداً مقرون بالخذلان، وإن من دعي إلى عمل أو إمامة في الدين فقصر نفسه عن تلك المتزلة وهاب أمر الله؛ رزقه الله المعونة، وهذا إنما هو مبنى على أنه من تواضع لله رفعه) <sup>(٣)</sup>

#### ١٠ - حكمة اليسر ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة:

إن من حكمة الدعاة إلى الله الحث على التيسير، لأن التشدد وأخذ أمور الشرع على أعلاها، لا يستطيعه كل أحد وينافي الحكمة؛ ويصادم المصلحة العظمى من هذا الدين، وهي اليسر ورفع الحرج عن الناس؛ ولأن مناط التيسير المحبة ومناط الشدة الكراهة؛ فقد جعل الإسلام اليسر مناط العبادة وعظم الثواب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) <sup>(٤)</sup>. قال ابن حجر في الفتح: ( وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف، وحث على الذكر المذكور، لمحبة الرحمن له، والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم وهو أن حب الرب سابق، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تال، ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة) <sup>(٥)</sup> ولقد جاءت الشريعة باليسر في كل شيء، وإزالة الشدة عن كل شيء، ووضع الميزان لكل شيء بما يناسب الحال، قال الله تعالى: ( أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ) <sup>(٦)</sup>. وكما حذرت أوامر الشريعة من الوهن والضعف، فقد نهت عن التنطع الذي أردى الفئات

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٥٧٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، حديث رقم: ٧١٤٦ (٦٣/٩)، وانظر صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها حديث رقم: ٤٨١٩ (٥/٦).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٨، ص: ٢١٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات - باب فضل التسييح، حديث رقم: ٦٤٠٦ (٨٦/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٧٠٢١ (٧٠/٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٣، ص: ٥٤٢.

(٦) سورة الأنفال: ٦٦.

الضالة كالخوارج وغيرهم، عن الْأَزْرَقُ بْنُ قَيْسٍ<sup>(١)</sup> قَالَ رَأَيْتُ شَيْخًا بِالْأَهْوَازِ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَلَجَامٌ دَابَّتْهُ فِي يَدِهِ فَجَعَلَتْ تَتَأَخَّرُ وَجَعَلَ يَنْكُصُ مَعَهَا وَرَجُلٌ قَاعِدٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَسُبُّهُ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ فَشَهِدْتُ أَمْرَهُ وَتَبَسُّرَهُ فَكُنْتُ أَرْجِعُ مَعِيَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهَا فَتَأْتِي مَأْلَفَهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ، قَالَ: قُلْتُ: كَمْ صَلَّى؟ قَالَ رَكْعَتَيْنِ، قَالَ وَإِذَا هُوَ أَبُو بَرَزَةَ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

إن التأمل في أوامر الدين ونواهيه، يجد أن الإسلام لم يأمر إلا بمصلحة خالصة أو راجحة، ولم ينه إلا عن مفسدة خالصة أو راجحة، فإن من حكمة الداعية أن يعلم الميزان الصحيح في حياة المسلم، وهو تقدير المفسدات من المصالح في فعل الإنسان وقوله، ويتلخص في حصول المصلحة الراجحة وهي أن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وأن دفع المفسد واجب، وإن لم يمكن فعند اجتماع المفسدات تدفع أعظم المفسدات باحتمال أخفها، وتحصيل المصالح واجب، وإن لم يمكن تحصيل الجميع فتحصيل أعظم المصالح مقدم بترك أيسرها، ومن حكمة الداعية مراعاة أحوال الناس في جميع شؤونهم، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ. فَخَرَجَ، فَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا. وَأَنْتُمْ لَمْ تَزَلُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمْ الصَّلَاةَ، وَلَوْ لَا الضَّعِيفُ وَالسَّقِيمُ أَحَبَّتْ أَنْ أُؤَخَّرَ هَذِهِ الصَّلَاةُ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ»<sup>(٤)</sup>. قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (ويفهم منه أن تأخير العشاء أحب من تعجيلها)<sup>(٥)</sup> ويفهم منه أن مراعاة الضعفاء والمرضى وتقديم حاجتهم مطلب تستدعيه حكمة الدعاة إلى الله وحكم الشريعة، فإن كل ما يضر بهم مرفوع شرعا. ورفع الضرر محبب إلى النفس وجلب التيسير كذلك؛ فمن من القواعد الفقهية: المصلحة في التيسير ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والله أعلم.

(١) الأزرق بن قيس. ذكره ابن سعد في (طبقات البصريين) وقال: كان ثقة إن شاء الله تعالى. وقال الحاكم أبو عبد الله: قلت يعني للدارقطني فالأزرق بن قيس؟ قال: ثقة مأمون. وعن يحيى بن معين: ثقة. وقال أبو حاتم الرازي: صالح الحديث. وذكره ابن شاهين في (الفتا) . مات في ولاية خالد على العراق. وزعم بعضهم أنه بقي إلى حدود العشرين ومائة. انظر: إكمال تهذيب الكمال للحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي (٤٢/٢)

(٢) نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي. غلبت عليه كنيته. واختلف في اسمه فقيل: نضلة بن عبيد بن الحارث، وقيل: نضلة ابن عبد الله بن الحارث، وقيل: عبد الله بن نضلة وقيل: سلمة بن عبيد. والصحيح ما قدمنا ذكره. قال أحمد بن زهير: سمعت أبي ويحيى بن معين يقولان: اسم أبي برزة نضلة بن عبيد أسلم أبو برزة قديماً، وشهد فتح مكة ثم تحول إلى البصرة، وولده بها، ثم غزا خراسان، ومات بها في أيام يزيد بن معاوية أو في آخر خلافة معاوية. قال الأزرق بن قيس: رأيت أبا برزة الأسلمي رجلاً مربوعاً آدم، وروي عن أبي برزة أنه قال: أنا قتلت ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. روى عنه أبو العالية وأبو المنهال وأبو الوضيء والحسن البصري وجماعة غيرهم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧١٩/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٧٩٠ (٣٤/٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري .

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب المواقيت - باب آخر وقت العشاء، حديث رقم: ٥٣٧ (٢٨٩/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الصلاة - باب وقت صلاة العشاء، حديث رقم: ٦٩٣ (٧٢٧/١). صححه الألباني .

(٥) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ١، ص: ٢٦٥.

## ثانياً: أثر المحبة في أسلوب الموعدة الحسنة

### تعريف الموعدة في اللغة:

أصل كلمة الموعدة من (وعظ) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والعين والظاء: كلمة واحدة. فالوَعظ: التخويف. والوعظة الاسم منه؛ قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرقُّ له قلبه) (١) وورد عند الجوهري في الصحاح: (الوَعظ: النصُّح، والتذكير بالعواقب. تقول: وَعَظْتُهُ وَعَظاً وَعِظَةً فَاتَّعَظَ، أي قَبِلَ المَوْعِظَةَ. يقال: السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتَّعَظَ به غيره) (٢) وعند ابن منظور في لسان العرب (وقد وَعَظَهُ وَعَظاً وَعِظَةً وَاتَّعَظَ هو قَبِلَ الموعدة) (٣)

### تعريف الموعدة في الاصطلاح:

الموعدة في الاصطلاح تتحدد في معنى واحد، وهو الذكرى بالعواقب عن طريق وسائل الترغيب والترهيب، لما يوقظ القلب ويستدر العواطف وينير العقل، وذلك من باب التنبيه والحرص على ما يجلب النفع ويدفع الضر وعلى هذا المعنى جاءت في الشرع، قال ابن كثير في تفسيره (قول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أَنْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ {بِالْحِكْمَةِ} قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأمر الله تعالى) (٤) عن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودَّعٍ، فَأَعْهَدَ إِلَيْنَا بَعْهَدٍ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (٥). ويتأثر الناس بالموعدة تأثراً كبيراً، فيتركوا أشياء محبة إلى نفوسهم محبة مذمومة غير مشروعة، ويستبدلوها بأخرى مشروعة ومحمودة، وكذلك الواعظ إن كان محبوباً أقبلوا الناس عليه وقبلوا مواعظته، وإن لم يكن محبوباً قل الاستماع إليه والأخذ منه، والنقل عنه، قال الشوكاني في تفسير الموعدة الحسنة: (وهي المقالة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (وعظ).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (وعظ).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (وعظ)

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦١٣.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب المقدمة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: ٤٢ (١/٧٦). صححه الألباني .

المشتملة على الموعدة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة<sup>(١)</sup> والموعظة يجب أن تكون حسنة قولاً وزمناً وحالاً، وهنا يكون لها الأثر، والحسن درجات وبقدرة يكون الأثر، أما تكون غير ذلك فقد تؤدي إلى نتائج عكسية سلبية، ومن دلائل أثر المحبة في أسلوب الموعدة الحسنة ما يلي:

#### ١- الوعظ في النوازل بقوة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

أشد ما يكون الناس حاجة للوعظ في وقت النوازل، وتختلف النوازل نوعاً وزمناً، فمنها ما يكون بالحروب والزلازل والأمراض، ومنها ما يكون بالجذب والفقر والفتن، وتختلف زمناً في طول أو قصر مكوثها في الناس، وفي هذه الحال تضطرب حياة الناس، وتتقلب قلوبهم، وتتصدع العقول وتختار النفوس، ومن علاج هذه الحال، أن يقوم العلماء والدعاة بدورهم في إيضاح المسائل الشرعية وتهدئة النفوس المترعجة، وتبصير العقول والقلوب المضطربة، والمشاركة بوضع الحلول للوقائع، والشورى في الأمر، وبث روح الوحدة والتكافل، وكثرة القنوات والدعاء، ومن الوقائع التي وردت في السنة بلفظ الحب وطلب الصحابة الحظ منها طاعون عمواس<sup>(٢)</sup>، لعلمهم أن الموت به شهادة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)<sup>(٣)</sup>. وطاعون عمواس وقع في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ<sup>(٤)</sup>، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلّفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقيّة الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى

(١) زبدة التفسير من فتح القدير، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، الكويت: دار المؤيد، ط ٢، ١٤١٦هـ، ص: ٣٦٣.

(٢) عمواس: بكسر أوله وسكون الثاني، وقيل بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، وذكر أنها كانت القصة في القديم، وإنما تقدموا إلى السهل والبحر من أجل الآبار؛ لأن هذه على حد الجبل، وقال المهلب كورة عمواس هي ضيعة جلييلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشأ في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، وذلك في سنة ١٨ للهجرة، ومات فيه من المشهورين أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٥٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير- باب الشهادة سبع سوى القتل، حديث رقم: ٢٨٢٩ (٤/٢٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب بيان الشهداء، حديث رقم: ٥٠٤٩ (٦/٥١).

(٤) سرغ بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم غين معجمة، سرغ الكرم قضبانة الرطبة، الواحد سرغ والغين والعين لغة فيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام بين الميثة وتبوك، من منازل حاج الشام، وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وقال مالك ابن أنس هي قرية بوادي تبوك وهي آخر عمل الحجاز الأول وهناك لقي عمر بن الخطاب من أخبره بطاعون الشام فرجع إلى المدينة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢١١).

أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةٍ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ نَفَرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيَا لَهُ عُذْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَعَبِيًّا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالَ فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر في الفتح: ( وفي قصة عمر من الفوائد مشروعية المناظرة والاستشارة في النوازل وفي الأحكام، وأن الاختلاف لا يوجب حكما، وأن الاتفاق هو الذي يوجهه، وأن الرجوع عند الاختلاف إلى النص وأن النص يسمى علما، وأن الأمور كلها تجري بقدر الله وعلمه، وأن العالم قد يكون عنده ما لا يكون عند غيره ممن هو أعلم منه )<sup>(٢)</sup>

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ<sup>(٣)</sup>، عَنْ رَأْبَةَ - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَ خَلْفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ كَانَ شَهِيدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ - قَالَ: لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ، قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ. قَالَ: فَطُعِنَ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَامَ خَطِيْبًا بَعْدَهُ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَأَلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ. قَالَ: فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ، فَمَاتَ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ، فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِمَا فِيكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا. فَلَمَّا مَاتَ اسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، فَقَامَ فِيْنَا خَطِيْبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الطب- باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٢٩ (١٣٠/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب السلام- باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث رقم: ٥٩١٤ (٢٩/٧)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ١٩٠.

(٣) شهر بن حوشب الأشعري، أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الجعد الشامي الحمصي، ويقال: الدمشقي، تابعي جليل، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، مات سنة اثني عشرة ومائة، انظر مغاني الأخيار (٣٦/٢) وتقريب التهذيب (٢/٢٦٩) و البداية والنهاية (٩/٣٣٣) ..

يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَجِبُلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو وَائِلَةَ الْهَذَلِيُّ<sup>(١)</sup>: كَذَبْتَ وَاللَّهِ، لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتَ شَرُّ مَنْ حَمَارِي هَذَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرُدُّ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ، وَإِيمُ اللَّهِ لَا تُقِيمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَدَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْ رَأْيِ عُمَرُو فَوَاللَّهِ مَا كَرِهَهُ<sup>(٢)</sup>. لقد قام كل من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما بوعظ الناس وبيان حال المرض، ولم يريا من حل إلا الإيمان بالقضاء والقدر والصبر والدعاء، أما عمرو بن العاص رضي الله عنه إيمانا بالقضاء والقدر، فقد رأى الهروب منه بتفريق الناس في الجبال حتى يضعف انتشاره، متوكلا على الله وأخذاً بأسباب النجاة، فوفق حيث دفع الله الطاعون عنهم ومنع انتشاره، وهو مصداق مقولة عمر رضي الله عنه: فُهِرَ مَنْ قَدَرَ اللَّهُ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، حين رجع بالصحابة عند قدومه الشام وبها الطاعون، خشية هلاك الصحابة بالمرض بعد استشارته للمهاجرين ثم الأنصار ثم مشيخة قريش من مهاجرة الفتح. وفي هذه المواقف، كانت الموعظة سببا في العلاج بالصبر. فقد حببوا إلى الناس الصبر إيمانا بالقضاء والقدر، وابتغاء نيل الشهادة بهذا المرض، وعدم اليأس والقنوط. وعندما طعن معاذ رضي الله عنه في كفه يقول: ( مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِمَا فِيكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا )، وكانت الموعظة سببا في العلاج بالفرقة عن المرض فأحب أمير المؤمنين صنيع عمرو بن العاص ولم يكرهه. وفي النوازل يترك الأمر للولاة والعلماء ويبقى الأمر شورى بين أهل الرأي منهم والفضل، ويوصلُ الدعاة إلى الله مقالة الولاة والعلماء إلى الناس، في بيان ووضوح؛ كي تستقر أحوال الناس في النوازل على ما فيه صلاحهم ونجاتهم بإذن الله.

## ٢- استخدام الاستفهام في الوعظ:

إن من محسنات الموعظة استخدام الواعظ لصيغة الاستفهام، فهي تحبب إلى الموضوع وتشوق إليه، وتحدث لدى السامع جوابا أوليا يستوجب التأكيد أو التصحيح من الواعظ، ويكون داخل مضامين الموعظة، وصيغ الاستفهام كثيرة، ومثال ذلك إذا كانت الموعظة عن الإنفاق في سبيل الله ويعرف الواعظ مدى حب الإنسان للمال، وأن من صفات المال النماء أو النفاد؛ فيربط الواعظ بين محبة المال وبقاء أجره وبين

(١) أبو وائلة الهذلي، قال ابن عساکر: له صحبة وشهد فتوح الشام، وأخرج له أحمد في مسنده من طريق بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رجل من قومه كان خلف على أمه بعد أبيه، وشهد طاعون عمواس قال: لما اشتد الوباء قام أبو عبيدة فذكر الخبر في وفاته ثم، وفاة معاذ بن جبل ووصله ابنه عبد الرحمن، ثم قام عمرو بن العاص فقال: تفرقوا من هذا الوباء في الجبال، فقال له أبو وائلة الهذلي: كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أريد عليك ما تقول، ثم خرج وخرج الناس وتفرقوا، ورفع الله عنهم. قال: ابن عساکر: لا أعرفه إلا من هذه الرواية، وقد رويت هذه القصة من وجه آخر عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم ونسب الكلام المذكور فيها بمعناه لشرحبيط بن حسنة، فلعل من رد على عمرو في ذلك متعدد والله أعلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤٥٥/٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٩٧ (٢٢٦/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

الإِنفاق في سبيل الله، ويلغي الصورة الأولية في الذهن أن المال محبوب ببقاء ونماء عينه فقط، عن الحارث بن سويد قال: «قال عبدُ الله: قال النبي ﷺ: أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِنْ مَالُهُ مَا قَدِمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ»<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال وغيره فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر؛ لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للمورث، فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك، وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته، ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة، لأن حديث سعد محمول على من تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه<sup>(٢)</sup>.

### ٣- استخدام المثل الواقعي في الوعظ بضوابط الشرع :

الإخلاص موضوع مرتبط بكل موعظة حسنة، وبالتذكير به تزداد حسناً، فإن الحث على إخلاص العمل بتمحيص القلوب وتجديد النية ومحاسبة النفس أصل في الوعظ، والأمثلة الواقعية على الإخلاص وعلى نقيضه الرياء والشرك كثيرة جداً، والوعظ بها له ضوابط شرعية، يجب أن يراعيها الواعظ، فإن الحكم على العمل أو صاحبه بالقبول أو الرد أو الإخلاص من غيره، لا يحكم به أحد إلا بدليل قطعي الدلالة والثبوت، والبعد عن الخوض في مثل هذا الموضوع مظنة السلامة للمرء في دينه وذمته، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «نظر النبي ﷺ إلى رجلٍ يُقاتلُ المشركين - وكان من أعظم المسلمين غناءً عنهم - فقال: من أحب أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل النار فلينظرَ إلى هذا، فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال بدُبابة سيفه فوضعه بينَ تَدْيِيهِ فتحاملَ عليه حتى خرَّجَ من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: إن العبدَ ليعمل - فيما يرى الناس - عملَ أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعملُ - فيما يرى الناس - عملَ أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمالُ بخواتيمها»<sup>(٣)</sup>. قال ابن بطال: ( قال المهلب: في هذا الحديث ضد ما ترجم له البخاري، أنه لا يقال: فلان شهيد، ثم أدخل هذا الحديث وليس فيه من معنى الشهادة شيء، وإنما فيه ضدها، والمعنى الذي ترجم به قولهم: ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فمدحوا جزاءه وغناؤه، ففهم الرسول منهم أنهم قضوا له بالجنة في نفوسهم بغناؤه ذلك، فأوحى إليه بغيب مآل أمره؛ لئلا يشهدوا لحي بشهادة قاطعة عند الله ولا لميت، كما قال رسول الله في عثمان بن مظعون: « والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به » وكذلك لا يعلم شيئاً من الوحي حتى يوحى إليه به ويعرف بغيبه، فقال: إنه من أهل النار - بوحى من الله

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقائق- باب ما قدم فهو له، حديث رقم: ٦٤٤٢ (٨/٩٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ٢٦٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقائق- باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، حديث رقم: ٦٤٩٣ (٨/١٠٣).



له<sup>(١)</sup> وذكر الواعظ للأمثلة الواقعية التاريخية من السنة وغيرها كالمثال السابق في حسن وسوء الخواتيم، يعطي الموعظة قوة في نفس السامع، فإن النفس تحب أن ترى ما هي قادمة عليه من الخير، وما هو قادم لها، فإن النفس المؤمنة تحب ما يقربها إلى الجنة، ويباعدها عن النار، والإخلاص محور في ذلك ويصدق حسن الختام.

#### ٤ - التكرار ثلاثا والتطبيق العملي :

كان كلام النبي ﷺ فصلا ولم يكن سردا، ويكرره ثلاثا في مواطن خاصة من الوعظ والبيان وهو خير من وعظ ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ( كان كلام النبي ﷺ فصلا يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سردا )<sup>(٢)</sup> ومن قوة التأثير في الموعظة تكرار الجمل المؤثرة وخاصة في صيغ الاستفهام، وما يحبه الناس من الأمور أو يبغضونه فتكون أبلغ أثرا وخشوعا، وأن يكون الكلام واضح الحروف، متسلسل المعاني غير متداخل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا. وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ<sup>(٣)</sup> ابْنِ طَابٍ. فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَتَيْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ. فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ. وَلَا عَنْ يَمِينِهِ. وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى. فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِتُوبَةٍ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثُوبَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: «أُرُونِي عَبِيرًا» فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ. فَجَاءَ بِخُلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ. ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَنْفِ النُّخَامَةِ. فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخُلُوقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ.<sup>(٤)</sup> أورد البيهقي في بيان قوله: قبل وجهه: ( قال أبو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ تَأْوِيلُهُ: أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا لِلصَّلَاةِ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلْيَصْنَعْهَا عَنِ النُّخَامَةِ، وَفِيهِ إِضْمَارٌ وَحَذْفٌ وَاخْتِصَارٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلُ أَيُّ: حُبُّ الْعَجَلِ، وَكَقَوْلِهِ: وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ، يُرِيدُ: أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وَمَثْلُهُ فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا أُضِيفَتْ تِلْكَ الْجِهَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ، كَمَا قِيلَ: بَيْتُ اللَّهِ وَكَعْبَةُ اللَّهِ، فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ١١٥.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٠٢٧ (٤١/٥٢٠). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٣) من ( عرجن ) والعُرْجُونُ العَذْقُ عامَّةٌ، وقيل: هو العَذْقُ إِذَا يَسَّ وَاغْوَجَّ وَقِيلَ هُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَغْوَجُّ وَتُقَطَّعُ مِنْهُ الشَّمَارِيخُ فَيَقْسَى عَلَى النَّخْلِ يَابِسًا، انظر لسان العرب لابن منظور (١٣/٢٨٤).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفاق - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

الكلام<sup>(١)</sup> إن قيام الرسول ﷺ بإزالة أثر النخامة بالعرجون، كان بليغا في النفوس، وهكذا فإن التطبيق العملي في الوعظ، حال مناسبته يوضح الحال ويصدق المقال، ويؤكد به البيان، وليس كل وعظ يحتاج إلى التطبيق العملي، وكل ما احتاج إليه، يجب ألا ينفك عنه فإنه أبلغ في الإيضاح.

## ٥ - جواز فتح باب السؤال في الموعظة:

إن الموعظة خطاب من الواعظ إلى مستمعيه، وهذا الخطاب يختص بأمور الدنيا والدين، ويجب على الواعظ التأصيل في أمور الدين، بذكر الدليل من الكتاب والسنة وما أثر عن سلف الأمة الصالح، ونقل الخبرات في مجالات الحياة فيما يخص أمور الدنيا، والموعظة الحسنة هي التي تفي بمطالب السامع في موضوع الموعظة، ومن سبل الإيفاء في الموعظة، فتح باب السؤال وإعطاء السائل الوقت ليسأل عما يجب، ومن نهج الواعظ الصحيح تصويب السؤال والجواب الكافي عنه، وهذا كان من نهج النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج حين زاعت الشمس فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة، فذكر أن فيها أمورا عظما، ثم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». فأكثر الناس في البكاء، وأكثر أن يقول: «سلوني». فقام عبد الله بن خذافة السهمي فقال: من أبي؟ قال: «أبوك خذافة» ثم أكثر أن يقول: «سلوني». فبرك عمر على ركبتيه فقال: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فسكت. ثم قال: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَاءً فِي غُرُضٍ هَذَا الْخَائِطِ، فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ<sup>(٢)</sup>

## ٦ - اختيار الوقت المناسب والحديث المناسب في الموعظة:

إن الناس المستقبلين للموعظة تحكمهم ظروف خاصة، وظروف عامة، منها ارتباطهم بالأعمال المهنية وتدبير شؤون أسرهم وأحوالهم الشخصية، ومكان الموعظة وزمانها؛ فإن هذا يحتم على الواعظ قياس المصلحة من موعظته قياسا صحيحا، في مناسبتها لأحوال الموعوظين، ومن أهم الأمور في هذا، عدم الإطالة وعدم التكرار المتوالي في مواعظه، مع اختيار الموضوع المناسب، فلا يصلح التذكير في مواطن الفرح بموعظة تقلب الفرح حزنا، وإن كانت حقا، ولكن الدقة في القياس من حذافة الواعظ وحكمته، وهذا ما جرى عليه السلف الصالح وتناصحوا به، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ( حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تُمَلِّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفَيْكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ، فُتَمَلُّهُمْ؛ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ

(١) الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، جده : مكتبة السوادني، ط ١ : ج ٢، ص: ٣٩٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة- باب وقت الظهر عند الزوال، حديث رقم: ٥٤٠ (١١٣/١).

الاجْتِنَاب<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال في شرحه: (وفيه من الفقه: أنه يكره الإفراط في الأعمال الصالحة خوف الملل لها والانقطاع عنها، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل، كان يتخول أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم، وقال: ( اكفلوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا )<sup>(٢)</sup>. وفيه: أنه لا ينبغي أن يحدث بشيء من كان في حديث حتى يفرغ منه. وفيه: أنه لا ينبغي نشر الحكمة والعلم ولا الحديث بهما من لا يحرص على سماعهما وتعلمهما، فمتى حدث به من يشتهي ويحرص عليه، كان أحرى أن ينتفع به ويحسن موقعه عنده، ومتى حدث به من لا يشتهي لم يحسن موقعه عنده، وكان في ذلك إذلال للعلم وحط له، والله تعالى قد رفع قدره حين جعله سبباً إلى معرفة توحيده وصفاته تعالى، وإلى علم دينه وما تعبد به خلقه )<sup>(٣)</sup> فمن أثر المحبة في الموعظة اختيار الوقت المناسب وعدم الاستئثار بالحديث في المجلس أو قطع حديث من يحدث والناس في استماع له، وعلى الواعظ اختيار الموضوع المناسب لحال المدعوين.

#### ٧- الحث على العلم أصل من أصول المواعظ الحسنة:

العلم من أجل ما يحث عليه الوعاظ ويدعون إليه؛ لما له من فضل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ، وتقوم عليه خيرية المرء بالفقه في الدين، وخيرية تعلم القرآن وتعليمه، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ. فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ<sup>(٤)</sup>، فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قِطْعٍ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ. وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ؟»<sup>(٥)</sup>. إن الواعظ عندما يقدم الفضائل التي يحث عليها، فإذا وعظ الواعظ الناس في لزوم موعظته، يلتزم محاب الناس ويقرن بينها وبين الفضائل التي يحث عليها، فإذا وعظ الواعظ الناس في لزوم الأدب والخشوع والسكينة في استقبال الصلاة، بالمقارنة بين حالهم في استقبالهم ملوك الدنيا وحالهم في استقبال مالك الملك - الله جل جلاله - لحصل المقصود من الموعظة، ومن الحديث السابق يتضح أثر المحبة في الموعظة، من محبة الناس لخير الدنيا والآخرة، وكيف النبي ﷺ تدرج بهم في العدد علواً لدرجة الكمال

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات-باب ما يكره من السجع في الدعاء، حديث رقم: ٦٣٣٧ (٧٤/٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق-باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٥٨٦١ (١٥٥/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصيام-باب النهي عن الوصال في الصوم، حديث رقم: ١٨٦٣ (١٨٨/٢).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٢٣هـ، ج ١٠، ص: ٩٨ - ٩٩.

(٤) (كوم) الكاف والواو والميم أصل صحيح يدل على تجمع في شيء مع ارتفاع فيه. من ذلك الكوماء، وهي الناقة الطويلة السنام. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٨/٥) الكوم العظم في كل شيء، وقد غلب على السنام سنام أكرم عظيم انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٩/١٢).

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه. حديث رقم: ١٩٠٩ (١٩٧/٢).

المستمر، والأجر غير المنقطع حين استمرار العمل، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (الخلفاء بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدّها ثم هي عشار والواحدة خلفه وعشراء، قوله ﷺ يغدو كل يوم إلى بطحان هو بضم الباء وإسكان الطاء موضع بقرب المدينة والكوما من الإبل بفتح الكاف العظيمة السنام)<sup>(١)</sup>

## ٨- الجمع بين الترغيب والترهيب في الموعظة العامة:

أسلوب الترغيب وأسلوب الترهيب من الأساليب التي تؤثر في الناس، ويحسن استخدامهما في الموعظة، ويحدد النوع المناسب منهما أو الجمع بينهما موضوع الموعظة، والمتلقون، من أي قسم هم؟ أهم أشداء الخصال غلاظ القلوب، لا يؤثر فيهم إلا الترهيب؟ أم ضعفاء الخصال ورفاء القلوب يؤثر فيهم الترغيب؟ أم هم خليط من هؤلاء وهؤلاء؟ أم هم من عوام الناس؟ أم هم من خاصة الناس وعقلائهم؟ فإن الجمع بين الترغيب والترهيب هو الأمر الجامع لكل الناس في أغلب المواقف، وعليه درج أسلاف الأمة من الوعاظ في موعظتهم، ومن هذه المواقف، موعظة النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: أَتَتْهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ مُجْتَمِعُونَ، (قَالَ) فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ، إِذْ نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ حَبَاءَهُ، (وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ)<sup>(٢)</sup> وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرَتِهِ<sup>(٣)</sup> إِذْ نَادَى مُنَادِي (النَّبِيِّ) الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَأَجْتَمَعْنَا فَقَامَ النَّبِيُّ فَخَطَبَنَا فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، وَأَنْ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَأَنْ آخِرَهَا سَيُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ وَأُمُورٌ يُنْكِرُونَهَا، (تَجِيءُ فِتْنٌ فَيُدَقِّقُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ)، فَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةَ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٦، ص: ٨٩.

(٢) (نضل) النون والضاد واللام: أصيل يدل على رمي ومرامة. ونضل فلاناً: راماه بالتضال فغلبه في ذلك. وهو يناضل عن فلان: يتكلم عنه بغدرة، كأنه يرامي دونه. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٦/٥) انضل القوم وتناضلوا أي رموا للسبق، ومنه قيل انضلوا بالكلام والأشعار، وانضلت رجلاً من القوم، وانضلت سهماً من الكنانة أي اخترت، والمناضلة المفاخرة. انظر: لسان العرب لابن منظور (٦٦٥/١١).

(٣) (جشر) الجيم والشين والراء أصل واحد يدل على انتشار الشيء وبروزه. يقال جشر الصبح، إذا أثار. ومنه قولهم: اصطبحنا الجاشريّة، وهذا اصطباح يكون مع الصبح. وأصبح بنو فلان جشراً، إذا برزوا الحيّ ثم أقاموا ولم يرجعوا إلى بيوتهم، وكذلك المال الجشّر، الذي يرعى أمام البيوت. والجشّار: الذي يأخذ المال إلى الجشّر. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٩/١) (جشر) الجشّر بقلّ الربيع وجشّروا الخيل وجشّروها أرسلوها في الجشّر والجشّر أن يخرجوا بجيولهم فيرعوها أمام بيوتهم وأصبحوا جشراً وجشراً إذا كانوا يبيتون مكائهم لا يرجعون إلى أهلهم. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣٧/٤).

قَلْبِهِ، فَلْيُطْعَمْ مَا اسْتَطَاعَ (فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُنَازِعُهُ فَأَضْرِبُوا رَقَبَةَ الْآخَرِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ)<sup>(١)</sup>. وفي هذا الحديث يجد المتأمل أن من الأصول في المواعظ، الأمر بما يحتاج الناس إليه وتذكيرهم بالنعم التي هم فيها، ومن أهم ما يدعو إليه الوعاظ: الحث على الخير والتحذير من الشر، وأيضاً البحث عن سبل النجاة بالإيمان بالله واليوم الآخر والتقوى ببذل الخير للناس ومعاملتهم بالحسنى والحذر من الفتن والحث على لزوم الجماعة، ومن أثر المحبة في المواعظ إبراز المظاهر المرغوبة والمرهوبة أمام التصور الذهني للمستمع كقول النبي ﷺ : (وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) فهو أشد أثراً في نفس السامع عندما يقارن بين معاملته للناس، وبين رغبته ومطلبه منهم في المعاملة بالحسنى والخير والاحترام وغيره، فيؤدي إلى تغيير سلوكه وأخلاقه إلى الأفضل المرغوب.

#### ٩- فتح باب الرجاء في الموعظة لمن حضره المرض أو الموت:

الخوف والرجاء صنوان في حياة المسلم، وهما من دواعي الإيمان يستطيع بهما ملاقات الأحداث، ومجارات النتائج، خوفاً من الله وعقابه، ورجاء في عفوه ومغفرته؛ فينعم بالرجاء ويطمئن به، ويستقيم بالخوف ويسعد به، ففي الرجاء فتح باب الأمل، وفي الخوف فتح باب الاستقامة، والموعظة الحسنة هي التي تحقق الغاية من الخوف والرجاء بفتح أبوابها في نفس المستمع وقلبه، وأن يحسن الواعظ الاختيار المناسب لحالة من يعظه، وأيهما يستحق التأثير عليه به، الخوف أم الرجاء، وكما قرر علماء الشريعة أنه في حال الشدة والضعف والمرض والموت يغلب جانب الرجاء على الخوف، وفي حال الرخاء والقوة والسلامة يغلب جانب الخوف، وبالرجاء والخوف مع المحبة لله وما أمر به يستكمل المسلم ركائز العبودية لله تعالى بطاعته فيما أمر به، ونهى عنه، قال ابن حجر في الفتح: ( قوله باب الرجاء مع الخوف، أي استحباب ذلك فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء؛ لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير، فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخظة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو)<sup>(٢)</sup> عن ذكوان<sup>(٣)</sup> - حاجب عائشة رضي الله عنها - : « أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله<sup>(٤)</sup>، فقال هذا عبد الله بن عباس

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول. حديث رقم: ٤٨٨٢ (١٨/٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ٣٠١.

(٣) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، روى عن سعد وأبي الدرداء وأبي هريرة وعائشة، أحد من شهد الدار زمن عثمان وكان ثقة من أجل الناس وأوثقهم، وقال ابن المديني: ثقة ثبت. وقال ابن سعد: كثير الحديث. مات بالمدينة سنة إحدى ومائة. انظر: إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي (٣١/١).

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

يستأذن — وهي تموت — فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته، فلما جلس قال: ابشري، فقالت: أيضاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: {فتيمموا صعيدا طيباً} فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله عز وجل — لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً<sup>(١)</sup>. ومن هذا الأثر ندرك من موعظة ابن عباس ﷺ تغليب جانب الرجاء على الخوف بقوله: (ابشري) وبالذكرى الطيبة لأمة المؤمنين رضي الله عنها بما كانت عليه من خصال الخير، من حب الرسول ﷺ لها، فهي طيبة بذلك، ولأن المرء مع من أحب، وذكرها بما لها من فضل في الإسلام، وكانت مستحقة لفتح باب الرجاء في هذه الموعظة وهي من خير من يؤخذ منه العلم والموعظة رضي الله عنها لفضلها، ولكن هذا المقام — المرض والموت — كانت في حالة تستحق فيها الذكرى، ولفقهها بما هي قادمة عليه قالت: (دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً).

#### ١٠ - قصر الموعظة يكون بقوة العبارة أو عظم الإشارة:

كلما كانت الموعظة قصيرة وبلغية أحبها السامع وأخذ بها، ولم تشق عليه، على عكس الطويل منها فتحدث السامة والملل، ويضيع طولها كثيراً من المعاني في ذهن السامع، وتختلف المواقف في المواعظ من حال إلى حال، وبموجب ذلك يختلف وضع الموعظة في الطول والقصر، وتكتسب الموعظة قوتها غالباً بالقصر حال قوة العبارة أو عظم الإشارة، فإذا أراد الواعظ أن يذكر الناس بيوم القيامة فإن فيه من النصوص الشرعية، ما يطول ذكرها في موقف واحد، ويصعب شرحها في مقام واحد، ولكن الواعظ الحكيم يختار نصاً شاملاً لأهوال يوم القيامة، ويجعله موعظة، اقتداءً بإمام الدعاة ﷺ، ومن ذلك هذا الحديث، عن عبد الرحمن بن يزيد، وكان من أهل صنعاء<sup>(٢)</sup>، وكان أعلم بالحلال والحرام من وهب، — يعني: ابن منيه — قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} (التكوير: ١)<sup>(٣)</sup>. وسورة التكوير تأتي في تسع وعشرين آية، من اثني عشر سطراً ولكنها حوت مشاهد يوم القيامة في عدة صور كونية تصل المرء بعقيدة الإيمان بالحياة الآخرة من

(١) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند بني هاشم — مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٩٦ (٤/٢٩٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) صنعاء: من أعظم مدن اليمن، تشبه دمشق لكثرة مياهها وأشجارها، وهي شرقي عدن بشمال في الجبال، وهي معتدلة الهواء، وكانت كرسي ملوك اليمن في القديم وبها تل عظيم يعرف بغمدان. انظر: تقويم البلدان للسلطان عماد الدين إسماعيل (١٠٥/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٤٨٠٦ (٨/٤٢٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

انتهاء معالم الحياة الدنيا، والبعث والحشر والحساب ووجوب التصديق بالوحي والاستقامة على ما جاء به النبي ﷺ. ولذا فإن أي موضوع طويل أو مشعب ومتسع يستحب للواعظ الحصر بشاهد واحد جامع، إن كان نصاً ثابتاً أو مقالاً موثقاً. أو استخدام الإشارة الحركية أو الإشارة اللفظية ليوصل المعنى في وقت قصير وبأقل إشارة، ومن دلائل ذلك عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ قَالَ: ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا) <sup>(١)</sup>. وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ» <sup>(٢)</sup>. وكما أن لقصر الموعظة الأثر في بيان المقصود؛ فإن الترتيب المعنوي للفضائل وقع خاص في الأثر، فإن ما يخص النفس يقدم على ما يخص البدن، وما هو مخصوص بقيمة خاصة تميزه يحسن تأخيرها ليكون آخر ما يكون في أذن السامع، وأوضح في إدراك قيمته، ونستبين ذلك من هذا الحديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» <sup>(٣)</sup>. وفيه درس من دروس الدعوة في العرض للفضائل أيهما يقدم، وأن التأخير لقيمة الصلاة هنا أعطى قوة في وصول المعنى إنما الأفضل، قال السيوطي في شرحه لسنن النسائي: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر وأما تأخيرها فللتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف) <sup>(٤)</sup>.

## ١١ - البشارة والندارة لازمان من لوازم المواعظ:

البشارة والندارة من محسنات المواعظ وهي من الأساليب التي أمر الله بها في القرآن الكريم قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَتَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُتْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) <sup>(٦)</sup> فمن كان على خير وطاعة؛ فيستحب وعظه بالبشارة؛ ليكثر من الخيرات ويحذر من تخذيل الشيطان، ومن كان على سوء ومعصية فيجب وعظه بالندارة؛ ليكف عن

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٣٨١ (٣٧٤/١٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، حديث رقم: ٧١٧٩ (٧١/٩)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، حديث رقم: ٦٧٩٦ (٢٧/٨).

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب عشرة النساء - باب حب النساء حديث رقم: ٨٨٣٦ (١٤٩/٨). وانظر مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه حديث رقم: ١٢٢٩٤ (٣٠٧/١٩). حسنه الألباني .

(٤) شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٣.

(٥) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٦) سورة غافر: ١٨.

معاصيه ويقبل على الطاعة ويؤمل بالتوبة والثوبة الحسنة، عَنْ ثَابِتٍ<sup>(١)</sup> حَدَّثَنَا رَجُلٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ الشَّامِ وَكَانَ يَتَّبِعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ وَيَسْمَعُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَهُ فَلَقِيَنِي نَوْفًا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ نَوْفٌ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَمَلَأْتِكُنَّه اذْعُوا لِي عِبَادِي، قَالُوا: يَا رَبِّ كَيْفَ وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ دُونَهُمْ وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ اسْتَجَابُوا، قَالَ: يَقُولُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ أَوْ غَيْرَهَا، قَالَ: فَجَلَسَ قَوْمٌ أَنَا فِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ الْآخَرَى، قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا يُسْرِعُ الْمَشْيَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَفْعِهِ إِزَارَهُ لِيَكُونَ أَحَبُّ لِي فِي الْمَشْيِ، فَانْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ: أَلَا أَبْشُرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ أَمَرَ بَابَ السَّمَاءِ الْوُسْطَى، - أَوْ قَالَ: بَابَ السَّمَاءِ - فَفُتِحَ، فَفَاحَرَ بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، أَذَوًا حَقًّا مِنْ حَقِّي، ثُمَّ هُمْ يَنْتَظِرُونَ أَدَاءَ حَقِّ آخِرِ يَوْمِهِ<sup>(٤)</sup>.

## ١٢ - التدرج والتفصيل في الإيضاح أبلغ في تصور الحكم:

إن التدرج والتفصيل في الإيضاح أبلغ في تصور الحكم ويدل على بلاغة الواعظ؛ فإن الموعدة التي تتنوع فيها الأحكام والموضوعات يضطر فيها الواعظ إلى تقسيم الأحكام وتجزئة الموضوعات؛ وبصعب فيها الإتيان؛ فيذهب الواعظ من موضوع إلى آخر، ثم يعود ثم يرجع إلى الأول، ثم يعود إلى موضوع جديد، وهكذا في الأحكام... فإن مثل هذه الموعدة لا ينتفع الناس منها كثيرا لتنوع الموضوعات، وتعدد الأحكام، وينقصها الترتيب الذي يفقده يؤدي إلى خلط لدى السامع، أما الموعدة التي تأتي في تسلسل تدرجي في الفكرة والعرض وفي موضوع محدد؛ فإنها أقوى في ذهن ونفس السامع وأجدر بالاستجابة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ<sup>(٥)</sup>، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحَبُّ الصَّلَاةِ مَعَكَ، قَالَ: ( قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ<sup>(٦)</sup> خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي، قَالَ: فَأَمَرْتُ فَبَنَيْ لَهَا مَسْجِدًا فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ، فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيتُ

(١) ثابت بن أسلم البناي أحد الرواة في سند هذا الحديث.

(٢) أحد الرواة في سند هذا الحديث، وذكر أهل الحديث أنه: (يحيى بن مالك أبو أيوب الأزدي).

(٣) نوف بن فضالة الحميري أبو يزيد البكالي، أحد الرواة في سند هذا الحديث.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٨٦٠ (٤٤٧/١١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) عبد الله بن سويد الأنصاري الحارثي، قال البخاري وابن أبي حاتم وابن السكن وابن حبان: له صحة، وقال أبو أحمد العسكري هو ابن أخي أم حميد زوج أبي حميد الساعدي وله عنها رواية، ولم يصح بعضهم صحبته، وذكره ابن أبي حاتم وابن حبان في التابعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢٤/٤) ..

(٦) مكان المبيت في الدار. وقال ابن رجب: وخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أم سلمة، عن النبي ﷺ ( قال: ( خير مساجد النساء قعر بيوتهن ) ) . انظر: فتح الباري لابن رجب (٣٢١/٥).



اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>. النتيجة من التدرج والتسلسل في الوعظ النبوي لأمر حميد في محبتها الصلاة مع النبي ﷺ؛ جعل أم حميد رضي الله عنها تعلم أن صلاحها في بيتها خير من صلاحها في مسجد النبي ﷺ ومعه، والنية عليها مدار القبول وحصول الفضل، ومن صدق مع الله صدقه الله، وكذلك التفصيل في الموعدة يعطي القناعة بالموضوع لدى المستمع وقوة في الفهم، أما المعنى المنقطع في جملة واحدة يكون أبعد عن القناعة وأقرب لعدم وضوح المقصود فيكون القصور في فهمه، عَنْ هِلَالِ بْنِ حِصْنٍ<sup>(٢)</sup> قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فَضَمَّنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ، قَالَ: فَحَدَّثَ أَنَّهُ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَوْ أُمُّهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَاسَأَلُهُ فَاسَأَلُهُ، فَقَدْ أَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلُهُ، فَأَعْطَاهُ، وَأَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلُهُ، فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: قُلْتُ حَتَّى أَلْتَمَسَ شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَمَسْتُ فَاتَيْتُهُ - قَالَ حَجَّاجٌ: فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَاتَيْتُهُ - وَهُوَ يَخْطُبُ، فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ اسْتَعَفَّ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلْنَا إِمَّا أَنْ نَبْذُلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ نُؤَاسِيَهُ - أَبُو حَمْرَةَ<sup>(٣)</sup> الشَّائِكُ - وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَغْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا، قَالَ: فَارْجَعْتُ فَمَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا. فَمَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا حَتَّى مَا أَعْلَمُ فِي الْأَنْصَارِ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا<sup>(٤)</sup>. وتفصيل النبي ﷺ للعفاف مستخدما كلمة ( الحب ) في قوله ( وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَغْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا ) جعلت أبا سعيد الخدري ﷺ يفهم المقصود بفهم إيماني عميق أن العفاف مرتبط بالتوكل على الله وأخذ أسباب الرزق وهو نقيض المسألة فكف عن السؤال فأغناه الله.

### ١٣ - القسم والاستغفار قوة إيمانية في الموعدة:

الموعدة الدقيقة في موضوعها والقسم على صدقها دلالة على قوة الناصح؛ فإن أنواع المواعظ الشرعية سواء العقلية منها أو العاطفية، لا يقتنع السامع بها ما لم تستند إلى دليل شرعي وعقلي، أو مؤكدات شرعية كالقسم والشهادة، عَنْ زِيَادٍ<sup>(٥)</sup> بْنِ عَلَاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ الْآنَ، ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند النساء، حديث أم حميد رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٧٠٩٠ (٣٧/٤٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) سبقت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) أحد رجال السند في هذه الرواية، وقيل: هو أبو حمزة نصر بن عمران الضبي. ومن ذكر أنه أبو حمزة فهو تصحيف. كذا ضبطه الدارقطني في المؤلف (٦٠٠/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، حديث رقم: ١١٤٠١ (٤٨٨/١٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٥) زياد بن علاقة بن مالك أبو مالك الثعلبي الكوفي، من الثقات المعمرين، تابعي ثقة، يقال: إنه أدرك ابن مسعود. قال ليث بن أبي سليم: أدرك ابن مسعود، وقال النسائي وغيره: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق. قيل: مات سنة خمس وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي

أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قُلْتُ: أَبَايُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبَّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ<sup>(١)</sup>. عندما طلب جرير ﷺ منه أهل الكوفة الاستغفار والعفو عن واليهم المغيرة ﷺ ذكرهم بما كان منه من محبة العفو، قال: (فإنه كان يحب العافية) وأقسم على صدق موعظته ونصحه واستغفر، وهذا الأسلوب من التذكير بطلب المكافأة بالمثل لأمرهم والعفو، والاستغفار والقسم على النصح يجعل الموعظة تتصف بالدقة والمصداقية، ويأخذ الناس بها محبة في العدل والصدق.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٨ (١/٢١).

## المطلب الثاني: أثر المحبة في الجدل والجهاد

### أولاً: أثر المحبة في أسلوب الجدل

تعريف الجدل في اللغة:

أصل كلمة الجدل من (جدل) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ( الجيم والداد واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام )<sup>(١)</sup> وأورد الجوهري في الصحاح: ( والجِدَالَةُ: الأرضُ. يقال: طعنه فَجَدَلُهُ، أي رماه بالأرض، فأنْجَدَلَ، أي سقط. وجادلُهُ، أي خاصمه، مُجَادَلَةٌ وجِدَالٌ؛ والاسم الجَدَلُ، وهو شدة الخصومة. وجَدَلْتُ الحبلَ، أَجَدَلُهُ جَدَلًا، أي فَتَلْتُهُ فتلاً محكماً )<sup>(٢)</sup>

وفي لسان العرب لابن منظور ( الجَدَلُ مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة )<sup>(٣)</sup>

تعريف الجدل في الاصطلاح :

الجدل ذو غاية محددة وهي استحكام الأمر قولاً وفعلاً، على ما يريد كل طرف من أطراف الجدل؛ ويكون بطرح الأمر للمفاوضة وطرح الحجج والبراهين والوصول إلى نتيجة واحدة هي القناعة والوافق أو الرفض والاختلاف، وهو على نوعين جدال محمود يقوم على نية سليمة والغاية منه الخير لما فيه من الحق. وجدال مذموم يقوم على خبث الطوية أو على تعصب عمي يفضي إلى الباطل والشر، ويمكن تعريف الجدل اصطلاحاً بما قرره الراغب الأصبهاني في المفردات بأنه ( المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة )<sup>(٤)</sup> وقد ذكر الله سبحانه لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز، في تسعة وعشرين موضعاً، وكان الجدل فيها في موضع ذم في كل موضع ذكر فيه، إلا في ثلاثة مواضع: " أحدها: في سورة النحل: ( أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>(٥)</sup> والموضع الثاني: في سورة العنكبوت: ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ )<sup>(٦)</sup> والموضع الثالث : في سورة المجادلة: ( قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة ( جدل ) ( ٤٣٣/١ ) .

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة ( جدل ) ( ٨٤/١ ) .

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة ( جدل ) ( ١٠٣/١١ )

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاي، بيروت: دار المعرفة، ص: ٨٩.

(٥) سورة النحل: ١٢٥ .

(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا<sup>(١)</sup>، وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الأنصارية، كانت تحت زوجها أوس بن الصامت فظاهر بها، والقصة مشهورة في حكم الظهار. فأما قوله سبحانه: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال ابن السعدي في تفسيره (فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدتها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاقمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها)<sup>(٢)</sup> ومن ضوابط الجدل بالحسنى الأدلة الظاهرة والحجج العقلية والبراهين القطعية، والاستشهاد عليها بالقرآن لأنه أحسن الأدلة بيانا، وأكملها حسناً وإحساناً، وأوضحها كشافاً وبرهاناً. وكذلك الإصغاء إلى شبهه الخصوم والرفق بهم في حلها ودحضها. وأخذهم بالتدرج والتفصيل وعدم النقلة بهم إلى العموم دون وضوح الرؤية التفصيلية، مع ترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون الحجة عليهم ظاهرة، والجحد منهم أنكى بهم و أنكد عليهم، وهي سنة الأنبياء عليهم السلام، مع الأمم عند الدعوة. قال عز وجل في حق قوم نوح : ( قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٦٨﴾ ) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ )<sup>(٣)</sup> وكذلك فقد جادل الكفار أنبياءهم ليصدوا عن دعوة الحق، قال الله تعالى في حقهم : ( مَا تَجِدِلُ فِيْ ءَايٰتِ اللَّهِ اِلَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقْلِيْهِمْ فِي الْبِلَدِ ﴿١٠٠﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ اُمَّةٍ بِرُسُوْلِهِمْ لِيَاْخُذُوْهُ وَجَدَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ فَاَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٠١﴾ )<sup>(٤)</sup> ولا شك أن الظاهر من الجدل، أنه به تفقد آصرة المحبة بين المتجادلين غالباً، حال الرفض والاختلاف، فإن وجود الاختلاف يضعف آصرة المحبة، وإن الوفاق تقوى به المحبة. ولكن عند تحرير الأمر على أصوله؛ فإنه ليس في كل الجدل يكون المبعث منه عداوة واختلاف، فإن الجدل أسلوب للتقارب في المفاهيم والآراء والوصول إلى الصواب والوفاق والمناصحة، وكما قيل: (الجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة)<sup>(٥)</sup> وحسبك بهذه الكلمة أصلاً يرجع إليه. وعليه فإن أثر المحبة فيه ومنه يظهر في شخص المتجادلين قبل الجدل وأثنائه وبعده، والأصل أن حب المتجادلين للصواب أو حب بعضهم لبعض هو سبب الإثارة لموضوع الجدل، وسوف أعرض هنا بعض آثار المحبة في أسلوب الجدل بما ورد فيه لفظ الحب من الكتاب والسنة، كما يلي:

(١) سورة المجادلة : ١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١، ص: ٤٥٢ .

(٣) سورة هود : ٣٢ - ٣٤ .

(٤) سورة غافر : ٤ - ٥ .

(٥) الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤١٩ - ١٩٩٩م، (١/٢٢٤).

## ١- القول الغليظ لا يوصل المتجادلين إلى اتفاق:

إن الجدل أسلوب من أساليب التفاهم بين البشر، وهو من صفات الإنسان التي ذكرها الله في كتابه الكريم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة)<sup>(٢)</sup> وكلما كان الإنسان ذا إرادة صادقة في الوصول إلى الحق، كان في جداله مستمعا استماع العقلاء ومتكلما كلام الحكماء، فيصل في جداله إلى نتائج تخدم الجميع بالوصول إلى الحق، عن شهر بن حوشب الأشعري عن رايه — رجل من قومه كان خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عمواس، قال: « لما اشتعل الوجع، قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه، قال: قطع فمات رحمه الله، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه، قال: قطع ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات، ثم قام فدعا ربه لنفسه فقطع في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فينا خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحيلوا منه في الجبال، قال: فقال له أبو واثلة الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت برسول الله ﷺ، وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وإيم الله لا نقيم عليه، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا عنه ودفعه الله عنهم، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرأ فو الله ما كرهه »<sup>(٣)</sup>. فإن الجدل الذي وقع بين الصحابين رضي الله عنهما أبي واثلة الهذلي وعمرو بن العاص أغلق بقرار عمرو بن العاص لما له من ولاية الأمر، ولم يتفرع إلى محاور لقناعة كل منهما وشدة وحدية النقاش من أول وهلة فلم يحسم باتفاق بينهما، ويعذر كل منهما لشدة الموقف، وخطورة الطاعون على حياة الناس. وهكذا كل جدال لا يوسع فيه للحوار ولطف المقابلة وسهولة اللفظ، يحسم مبكراً دون وصول إلى اتفاق وقناعة مما يفقد الناس الاستفادة وأولهم المتجادلون.

(١) سورة الكهف: ٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ١٧١.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٩٧ (٢٢٦/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

## ٢- النتائج الأولية من الجدل ليست هي النتائج الحتمية:

إن من أسس الجدل أنه يقوم على الاختلاف، اختلاف تضاد أو اختلاف تنوع، وينتهي بنتائج حتمية تقوم على استمرار الاختلاف، أو الاتفاق بزوال أسباب الخلاف الذهنية والعملية، ويلعب الحضور الذهني وبعد النظر دورا كبيرا في تحصيل النتائج؛ وهذه النتائج ليست هي ما يرى ويسمع في أول وهلة من الجدل، فهناك نتائج أولية ظاهرة وهناك نتائج حتمية خاتمة، ولو نظرنا من خلال السنة النبوية لجريات صلح الحديبية، وما عقد عليه من بنود لوجدنا في نتائجه الأولية ظلم بين وهزيمة واضحة للمسلمين، وانتصار بين لمشركي قريش، ولكن الناظر بروية ورؤية ثاقبة وأفق بعيد لواقع المسلمين آنذاك، وللنتائج الحتمية الخاتمة، يجد أن واقع الحال للمسلمين كان يستلزم عقده لما فيه من المصالح العظمى للإسلام والمسلمين في وقته، وقد أسماه الله بالفتح المبين، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنْفٍ رضي الله عنه يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ. فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّْا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَعِظًا، فَاتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّْا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ<sup>(١)</sup>. فمن واجب الدعاة إلى الله ألا يخوضوا في جدال دون علم وبصيرة، أو دون قدرات شخصية مؤهلة بمعرفة أصول الجدل والمجادل والمجادل عليه، وهذا إن كان المجادل على غير الملة، أما إن كان من أهل الملة فالأصل عدم الخوض في جدال بين المسلمين، فقد قام الدين على الاتفاق والائتلاف، وحذر ونهى عن الفرقة والاختلاف، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»<sup>(٢)</sup>. أما إن دعت ضرورة للجدال ببيان علم أو رد باطل فهو أصل في الدعوة إلى الله ويجب أن يكون بالحسنى والحجة الواضحة والبرهان القاطع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ( دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِلَّا مَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ٣١٨٢ (٤/١٠٣).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٤٨٠٢ (٤/٤٠٠). حسنه الألباني.

عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ<sup>(١)</sup>. وقال الله تعالى :  
(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(٢)</sup> .

وكان منهمج الصحابة يخافون كثرة السؤال؛ لأنه مناط الجدل وسبيل هلكة، ومفقد للمحبة، عن زيد بن  
أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر بن  
الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب:  
ثَكَلَتْ أُمُّ عَمْرٍ، نَزَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ  
تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ بِي. فقلت: لقد  
خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزْلٌ فِي قُرْآنٍ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فقال: لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة  
لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. ثم قرأ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} <sup>(٣)</sup>. وهذه البشارة كانت من  
النبي ﷺ جواباً لعمر رضي الله عنه حال جداله في بنود صلح الحديبية، وعظم النبي ﷺ هذه السورة بحبه  
لها، قال: (لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ).

### ٣- العناد في الجدل يضع حدوداً أمام الحلول الممكنة:

الغاية في الجدل والمناظرة، الوصول إلى الحق، وهذا هو الأصل الشرعي، ورد في الإحياء للغزالي من قول  
الشافعي يرحمه الله: (ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً ما فأحببت أن يخطئ)<sup>(٤)</sup>.  
الخصومات المالية من أشد الخصومات، وهضم الحقوق فيها يورث الجدل والأحقاد، وقد جاء الإسلام  
بحفظ الحقوق، وحسن الأداء وتيسيره وحسن المتابعة والطلب، عن عائشة رضي الله عنها، تقول: سَمِعَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ. وَهُوَ  
يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. فَقَالَ «أَيْنَ الْمُتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» قَالَ:  
أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَهُ أَيْ ذَلِكَ أَحَبُّ<sup>(٥)</sup>. قال ابن بطال: (قال المهلب: وفي حديث عائشة النهي عن  
التألي على الله؛ لأن فيه معنى الاستبداد بنفسه، والقدرة على إرادته، فكأنه لما حتم بالألا يفعل شابه ما يدعيه  
القدرية من إثبات القدرة لأنفسها، فوبخه النبي ﷺ بقوله، ففهم ذلك ورجع عن تأليه ويمينه، وقال: «له

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٧٢٨٨ (٩/٩٤).

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة الحديبية، حديث رقم: ٤١٧٧ (٥/١٢٦).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، ج ١، ص: ٢٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلح- باب هل يشير الإمام بالصلح، حديث رقم: ٢٧٠٥ (٣/١٨٧). وانظر: صحيح مسلم- كتاب

المساقاة- باب استحباب الوضع من الدين، حديث رقم: ٤٠٦٦ (٥/٣٠).

أي ذلك أحب » من الوضع عنه أو الرفق به متبرئاً من الفعل إلى الله، ورد الحول والقوة إليه، ويمينه إن كانت بعد نزول الكفارة ففيها الكفارة<sup>(١)</sup> ومن هذا الموقف نفهم أن العناد والصد في الجدل يضع حدود قاسية أما الحلول الممكنة، وأن إغلاق باب اليسر يحكم العسر، وهذا يضاد مقاصد الشريعة ويفقد الحجة، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(٢)</sup> ويفهم من الحديث أيضاً، الحث على التيسير بإعطاء المستطاع من الرفق والتنازل عن الحق؛ لأن ذلك يورث المحبة ويعين على التكافل بين المسلمين.

#### ٤- البيان الواضح يغلق أبواب الجدل:

إن من معان الجدل، كثرة النقاش في أي موضوع هو محل جدل، فمن حكمة الداعية أن يغلق أبواب النقاش الواسعة بقوة الوضوح في المسألة، والتفصيل المشبع لتصور السامع، عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ وَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ: صَلِّي فِي الْحِجْرِ إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ»<sup>(٣)</sup>. إن النبي ﷺ ذو حنو وعاطفة في معاملته لأزواجه، بكل الحب حقق لأمننا رضي الله عنها ما تحب، لم يطل النقاش في المسألة، لماذا الصلاة في البيت ؟ أو لم الآن ؟ وغيرها، لأن النقاش بين الزوجين في الأغلب يؤدي إلى جدال يفضي إلى نزاع بل أخذ بيديها وأدخلها الحجر ويبيّن لها أنه من الكعبة على رضا منها ومحبة. وبين لها أن النفقة قد قصرت بقريش عند تجديد البناء، فأخرجوه من البيت.

#### ٥- قوة الدليل تدحض شبه الجاهلين والمتجاهلين:

الأحكام الفقهية الشرعية تنطلق من النص الشرعي الصحيح، والجهل ينطلق إما عن شهوة أو عن شبهة، والشهوات مضلات للمرء عن طريق الاستقامة وصدع في البناء تنطلق من الهوى والغرائز، والشبهات من المضلات التي تنطلق من الهوى وتحكيم العقل في الشرع، وباب الشهوات لا يدفع الشر منه إلا بالحكمة والموعظ الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في باب تهذيب الغرائز والأخلاق، ويدفع أيضاً بالحوار الجدلي الهادئ في المكان المناسب، وتحديد الوضع الملائم للقبول، على حال محبة وعاطفة من

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١٥، ص: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب المناسك- باب في الحجر، حديث رقم: ٢٠٣٠ (١٦٣/٢). وانظر: سنن الترمذي-كتاب الحج عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٨٧٦ (٢٢٥/٣). وانظر: النسائي-كتاب مناسك الحج- باب الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٢٩١٢ (٢٤٠/٥). وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦١٦ (١٦٤/٤١). حسنه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون قوله : " صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت " فحسن لغيره .



الطرفين، وحال تستوجب الجذب والدنو وتستعري قبول الحق، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.<sup>(١)</sup>

وأيضاً فإن باب الشبهات قد ضل منه كثير من الفرق عن نهج أهل السنة والجماعة، ولا يدفع إلا بالجدل القائم على الدليل الصحيح والتفنيد الدقيق لمباحث وأصول الشبهة، بعيداً عن الشخصيات. فإن الدفع للفكرة الضالة يمت شخصياتها، وبدفع الشخصيات فقط، قد تحيا الأفكار الضالة بل تتفرع وتزداد عمقا وضلالة، ويكثر أتباعها انتصاراً لأصحابهم، ومن هذه الفرق الضالة على سبيل المثال، الخوارج - الحرورية - في العهد الراشدي؛ فإن استعمال الدليل القوي والحجة الشرعية دحضت كثيراً من الشبه عندهم فرجع من رجع إلى الحق، ومن أعظم ما يرد به عليهم فعل النبي ﷺ وسنته، عن الأزرق بن قيس قال «كنا بالأهواز نُقاتِلُ الحروريةَ، فبينما أنا على جُرْفٍ نَهْرٍ إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، وَإِذَا لِحَامٌ دَابَّتْهُ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتْ الدَّابَّةُ تُنَازِعُهُ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُهَا - قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ - فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ. فَلَمَّا انصَرَفَ الشَّيْخُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ، وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَثَمَانِيًا، وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ، وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أَرَاكَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَاكَ تَرْجِعَ إِلَى مَا لَفَّهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن رجب في الفتح: (والمعنى: أنه شاهد من تيسيره ( ما

استدل به على أن هذا العمل في الصلاة غير مضر بالصلاة. وقد تقدم أن الإمام أحمد قال: إذا فعل في صلاته كفعل أبي برزة فصلاته جائزة. ومتى كان يخاف من ذهاب دابته على نفسه، فحكمه حكم الخائف، فلا يبطل عمله في الصلاة لتحصيل دابته، وإن كثر. وقد خرج البخاري حديث أبي برزة في ((الأدب)) من ((صحيحه)) هذا، من طريق حماد بن زيد، عن الأزرق، به، وفي حديثه: فانطلقت الفرس، فخلى صلاته واتبعها، حتى أدركها، فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته. والظاهر: أن المراد بترك صلاته ترك العمل

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٢٢١١ (٥٤٥/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب العمل في الصلاة - باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، حديث رقم: ١٢١١ (٦٥/٢).

فيها، اشتغالا بطلب الفرس، ثم جاء فبنى على مامضى من صلاته<sup>(١)</sup> فإن مرض الفهم السقيم للدين، يؤدي للغلو، ويؤدي إلى الأحكام الخاصة الجائرة الفاجرة، هذا هو الذي فعل هؤلاء الأشخاص إلى الإنكار الخاطئ والسب الفاحش، ويؤدي إلى التكفير وهتك الأعراض، وسفك الدماء وإهلاك الأموال والأنفس، ومن أخص أوصافهم الخيانة، والله لا يحب الخائنين، وكان من حكمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن بعث إليهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ليجادلهم ويدعوهم إلى الحق والرجوع عن باطلهم الذي ظاهره الحق عندما قالوا لعلي عليه السلام: (أتحكم الرجال في دين الله، لا حكم إلا لله) وقال كلمته المشهورة في الرد عليهم (كلمة حق أريد بها باطل)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيَّ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ، مَرَجَعُهُ مِنَ الْعِرَاقِ لِيَالِي قِتْلِ عَلِيٍّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ: وَمَا لِي لَا أَصَدِّقُكَ؟ قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَمَ الْحَكَمَانِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ، فَتَزَلُّوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حُرُورَاءُ، مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصِ الْبِسْكَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْمُ سَمَّاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَحَكَمْتَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَدَّنًا فَأَذَّنَ: أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنْ امْتَلَأَتِ الدَّارُ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفِ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مَدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوَيْنَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فَأَمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنْ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ وَنَقِمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: سُهَيْلُ لَا تَكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: كَيْفَ نَكْتُبُ؟ فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَخَالَفَكَ. فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قُرَيْشًا. يَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي

(١) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن

قَوْمَهُ: قَوْمٌ خَصْمُونَ فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا تَوَاضَعُوا كِتَابَ اللَّهِ. فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنَوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ اللَّهِ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقِّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ. فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللَّهِ الْكِتَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمْ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيِّ الْكُوفَةِ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقَفُّوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمْ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آَلَهُ؟ قَالَ: آَلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ. قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَ؟ يَقُولُونَ: ذُو الشُّدِيِّ، وَذُو الشُّدِيِّ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلِ، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فَلَانَ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فَلَانَ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِشَيْءٍ يُعْرِفُ إِلَّا ذَلِكَ. قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ.<sup>(١)</sup>

## ٦- الجدل يعتمد على صحة المصادر والاتفاق عليها:

إن الجدل في أمر بين المسلمين، الحجة فيه لا تقوم إلا بالأدلة الصحيحة من مصادر الشريعة، ولا معاوضة بالأدلة العقلية أو النقلية عن غير مصادر الإسلام، لأن المحور المتفق عليه بين المسلمين هو الإسلام، وعليه قامت الحجة بينهم. أما الجدل بين المسلمين وغيرهم، فإن من المصاعب التي تواجه المتجادلين اختلاف المصادر التي يعتمد عليها في تقرير موضوع الجدل، بل إن الجدل هنا محسوم النتيجة، ومثاله من يجادل النصارى بما في القرآن من أدلة وهو مؤمن بتحريف كتابهم، وهم يجادلونه على إيمان بصحة كتابهم وكفرهم بالقرآن؛ فإن هذا الاختلاف في المصادر، يؤدي إلى قطيعة الحوار، لتصادم المصادر عند المتجادلين، عن أَبِي قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ، مَنَا وَفِينَا بُشَيْرُ<sup>(٢)</sup> بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». قَالَ أَوْ قَالَ «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند علي بن أبي طالب ﷺ، حديث رقم: ٦٥٦ (٨٤/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) بشير بن كعب ابن أبي، الفقيه، أبو أيوب الحميري العدوي البصري، العابد، أحد المخضرمين، قيل: إن أبا عبيدة بن الجراح استعمله على بعض الأمور. حدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة. حدث عنه عبد الله بن بريدة، وقنادة، وطلق بن حبيب، والعلاء بن زياد، وثابت البناني، وجماعة. وثقه النسائي وغيره. وكان أحد القراء والزهاد، رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥١/٤).

كَعَبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةٌ وَوَقَارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ أَلَا أُرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ. قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ قَالَ فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ<sup>(١)</sup>. وفي رواية لأحمد في المسند ( قال: فجفاه وأراد أن لا يحدثه، فقليل له أنه كما تحب<sup>(٢)</sup> ). وكان حجة التابعي بشير بن كعب في جداله لعمران ﷺ أن مما يقرأ في كتب الحكمة أن في الحياء سَكِينَةٌ ووقار وضعف، وغضب عمران لهذا القول لأنه يصادم صحيح السنة ويعارض الحديث: أن الحياء خير كله، وإنما قال عمران ﷺ ذلك مغضبا لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله لا فيما يروي عن كتب الحكمة لأنه لا يدري ما في حقيقتها ولا يعرف صدقها. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: ( وأما انكار عمران رضي الله عنه فلكونه قال منه ضعف، بعد سماعه قول النبي صلى الله عليه و سلم أنه خير كله، ومعنى تعارض: تأتي بكلام في مقابلته، وتعارض بما يخالفه، وقولهم (أنه منا لا بأس به) معناه ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة والله أعلم<sup>(٣)</sup> )

#### ٧- معرفة أصول المجادل المعارض ونقضها:

إن الجدل في حقيقته نقض لحقيقة متصورة أدت إلى أفكار واعتقادات مختلفة عند المتجادلين، ومتى استطاع أحد المتجادلين أن يعرف ما يبني الخصم فكره عليه؛ فإنه سيقوم بنقضها معتمدا على أصول المعارض، فيفحمه بمعرفة أصوله ونقضها، ويضعف موقفه ويسلمه للحق، عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة عن رجل قال: «قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن أسمعه منك؟ قال: نعم، لما بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة، خرجت حتى وقعت ناحية الروم، وقال: - يعني ببغداد - حتى قدمت على قيصر: قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال: فقلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضربني وإن كان صادقا علمت، قال: فقدمت فأتيته فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثا، قال: قلت: إني على دين، قال: إنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦٦ (٤٧/١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين - مسند عمران بن حصين ﷺ، حديث رقم: ١٩٩٥٦ (١٧٥/٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٢، ٨.

قالها فتواضعت لها، فقال: أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليستمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها<sup>(١)</sup>.

قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: ( إنا أعلم بدينك منك ) يدل على معرفة كلية يواجه بها المجادل، ثم أخذ في نقض وجه المعارضة عنده ببيان المخالفة الواضحة للمجادل مما يؤدي مباشرة إلى الإذعان للحق، وشاهده من موقف النبي ﷺ وعدي عليه السلام: ( فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ) وهكذا الدعاة إلى الله يجب عليهم في جدال المعارضين للدين، أن يعرفوا وجه المعارضة لينقضوها بموجب اعتقاد المعارض، وأصوله العقدية، حيث الوصول إلى الحق يورث المحبة، ويجمع الكلمة ويظهر الحق ويزهق الباطل، وهذه من أجل غايات الدعوة.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث عدي بن حاتم الطائي عليه السلام، حديث رقم: ١٨٢٦٠ (١٩٦/٣٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : بعضه صحيح وهذا إسناد حسن .

## ثانيا: أثر المحبة في أسلوب الجهاد

### تعريف الجهاد في اللغة:

أصل كلمة الجهاد من (جهد) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الجيم والهاء والذال أصله المشقة، ثم يُحْمَلُ عليه ما يقاربه. يقال جَهَدْتُ نفسي وأَجْهَدْتُ والجُهدُ الطَّاقةُ)<sup>(١)</sup>.

وأورد الجوهري في الصحاح: (الجُهدُ والجُهدُ: الطَّاقةُ. وقرئ: "والذين لا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ" و "جُهدَهُمْ". قال الفراء: الجُهدُ بالضم الطَّاقةُ. والجُهدُ بالفتح من قولك: اجْهَدْ جُهدَكَ في هذا الأمر، أي ابلُغْ غايةَك. ولا يقال اجْهَدْ جُهدَكَ. والجُهدُ: المشقةُ)<sup>(٢)</sup> وذكر ابن منظور في لسان العرب (قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجُهد والجُهد في الحديث، وهو بالفتح المشقة وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، ويريد به في حديث أم معبد في الشاة الهزال، ومن المضموم حديث الصدقة أَيْ الصدقة أفضل؟ قال جُهدُ المَلِّ أَي قدر ما يحتمله حال القليل، وجُهد الرجل إذا هُزِلَ)<sup>(٣)</sup>

### تعريف الجهاد في الاصطلاح:

إن مفهوم الجهاد في التصور الأول للمعنى، يعطي البعد الذي عرفته البشرية في تاريخها، من التدافع والنضال والقتال من أجل هدف مسمى لدى كل أمة مجاهدة، وهدفها غالباً النصر لسلطان القهر والسيطرة ويتبعه الظلم أو العدل، ولكن معناه في الإسلام قد تغير خُلُقياً؛ فأعطاه الإسلام بُعداً سامياً وهدفاً نبيلاً ومعنى واسعاً، ويتضح بعده من تحقيق معنى الإنسانية فكلنا لآدم وآدم من تراب، فقد أمر بالرحمة وبالعدل ومنع الاعتداء وجعله منافياً لمحبة الله، قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)<sup>(٤)</sup> وهدفه النبيل ينحصر في تحقيق الذلة والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له ونشر العدل، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، ومعناه لا ينحصر في القتال وبذل المال والنفس؛ بل يتعدى إلى التربية النفسية والعدل الاجتماعي لتحقيق التوازن في حياة الناس، ومكانته يوضحها الشيخ صالح الفوزان بقوله (والجهاد في سبيل الله له الأهمية العظيمة في الإسلام؛ فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل العبادات، وقد عده بعض العلماء

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة ( جهد ) (٤٨٦/١).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة ( جهد ) (١٠٥/١).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة ( جهد ) (١٣٣/٣).

(٤) سورة البقرة: ١٩٠.

ركنًا سادسًا من أركان الإسلام. والجهاد في سبيل الله مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} ، وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به، وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من النفاق"<sup>(١)</sup>. والجهاد مصدر جاهد؛ أي: بالغ في قتال عدوه، وشرعا: قتال الكفار، ويطلق الجهاد على أعم من القتال. قال العلامة ابن القيم: "وجنس الجهاد فرض عين: إما بالقلب، وإما باللسان وإما بالمال، وإما باليد؛ فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع" انتهى. ويطلق الجهاد أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق: فأما مجاهدة النفس؛ فعلى تعلم أمور الدين، ثم العمل بها، ثم تعليمها. وأما مجاهدة الشيطان؛ فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات. وأما مجاهدة الكفار؛ فتقع باليد والمال واللسان والقلب. وأما مجاهدة الفساق؛ فباليد، ثم باللسان، ثم بالقلب؛ حسب التمكن من درجات إنكار المنكر. والجهاد فرض كفاية، إذا قام به من يكفي؛ سقط الوجوب عن الباقي، وبقي في حقهم سنة. وهو أفضل متطوع به، وفضله عظيم، والنصوص في الأمر به والترغيب فيه من الكتاب والسنة كثيرة جدًا<sup>(٢)</sup> عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ وهو يرمي الجمرة، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: فسكت عنه حتى إذا رمى الثانية عرض له، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: فسكت عنه ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا اعترض في الجمرة الثالثة عرض له، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: كلمة حق تقال لإمام جائر»<sup>(٣)</sup> وللجهاد أحكامه الخاصة في الشريعة، ومن أهمها حكمه العام في الإسلام، وهو فرض الكفاية عند الجمهور، وقد ينتقل الجهاد من فرض الكفاية إلى فرض العين في ثلاثة أحوال بينها العلماء، قال ابن قدامة في المغني (ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقا الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام، لقول الله تعالى في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْاُدْبَارَ ﴿٨٣﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) <sup>(٤)</sup>

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم: ٥٠٤٠ (٤٩/٦).

(٢) الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص: ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنه - حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم: ٢٢١٥٨ (٤٨٤/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٤) سورة الأنفال: ٤٥.

(٥) سورة الأنفال: ١٦.

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفر معه لقول الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْذَنُونَ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) <sup>(١)</sup> الآية والتي بعدها وقال النبي ﷺ (إذا استنفرتم فانفروا) <sup>(٢)</sup> وللمحبة أثر في الجهاد في سبيل الله، فإن محبة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، حث عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة وحض عليها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وألقي على الجهاد معنى القتال في سبيل الله بوجه عام في كتب الحديث والفقه سواء كان في الفتح ونشر دين الله أو الدفع لحماية الدين والمال والأرض والعرض، وهو أسلوب له وسائله المتعددة وتختلف من عصر لآخر، حسب تطور وسائل الحياة السلمية والحربية، ورغم كراهة النفس للموت والكد والتعب، فإن الجهاد والشهادة في ميزان المسلم حياة شرف يحرص عليه أهل الإيمان؛ فيكون التعب والنصب من الأجر المحتسب، ويكون الموت من المكروه المحبوب، قال الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) <sup>(٣)</sup> فقد أصبح القتال من المكروه المحبوب إلى المحبوب الخالص عند المخلصين لله دينهم، وأصبحت هذه الآية تذكرة لكل عبد منيب في أن الخير معقود في أوامر الله وإن لم يتبين الحكمة ووجه الخير فيها لأن العلم لله فيما أمر ونهى وعلى العبد الاستجابة والإيمان بالقضاء والقدر، قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: (هذا هو فرض الجهاد، بين سبحانه أن هذا مما امتحنوا به وجعل وصلة إلى الجنة. والمراد بالقتال قتال الأعداء من الكفار، وهذا كان معلوما لهم بقرائن الأحوال، ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين فقال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا) <sup>(٤)</sup> ثم أذن له في قتال المشركين عامة. واختلفوا من المراد بهذه الآية، فقليل: أصحاب النبي ﷺ خاصة، فكان القتال مع النبي ﷺ فرض عين عليهم، فلما استقر الشرع صار على الكفاية، قال عطاء والأوزاعي. قال ابن جريج <sup>(٥)</sup>: قلت لعطاء: أوجب الغزو على الناس في هذه الآية؟ فقال: لا، إنما كتب على أولئك. وقال الجمهور من الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين، غير أن النبي ﷺ كان إذا استنفرهم تعين عليهم النفر لوجوب طاعته. وقال سعيد بن المسيب:

(١) سورة التوبة: ٣٨.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الهجرة هل، حديث رقم: ٢٤٨٢ (٢/٣١٢). صححه الألباني.

(٣) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ج ١٠، ص: ٣٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

(٥) سورة الحج: ٣٩.

(٦) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام..



إن الجهاد فرض على كل مسلم في عينه أبداً، حكاها الماوردي. قال ابن عطية: والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقي، إلا أن يتزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين<sup>(١)</sup> وقال البغوي في تفسيره عند هذه الآية: ( قوله تعالى: {وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ} أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه، من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة، نسخها قوله تعالى: {سمعنا وأطعنا} يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا {سمعنا وأطعنا}. قال الله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} لأن في الغزو إحدى الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة {وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا} يعني القعود عن الغزو {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} لما فيه من فوات الغنيمة والأجر<sup>(٢)</sup> والجهاد الذي نقصده هنا جهاد الجلال في الفتح والدفع، فإن له فضيلة ومكانة في الإسلام، وله محبة ومكانة عند المسلمين، وبفعله واستجابة أمر الله فيه تكون العزة والغلبة للمسلمين، ومن مظاهر وأثر المحبة في أسلوب الجهاد في سبيل الله، فيما ورد فيه من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب، ما يلي:

#### ١ - محبة الجهاد والاستشهاد لفضلهما:

إن للشهيد في سبيل الله منزلة عظيمة في الجنة، وقد وردت النصوص الكثيرة من السنة المبينة لهذا الفضل في مقامه المتميز عن غيره في الجنة، فإن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذه المكانة العظيمة بينها النبي ﷺ في أمر عظيم وهو محبة الشهيد دون غيره العودة إلى الدنيا؛ ليقتل في سبيل الله عشر مرات لما يرى من فضل الكرامة التي هو فيها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ( ما أحدٌ يدخل الجنة، يُحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة )<sup>(٣)</sup>. قال ابن بطال في شرحه: (هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة والحض عليها والترغيب فيها، وإنما يتمنى أن يقتل عشر مرات والله أعلم لعلمه بأن ذلك مما يرضى الله ويقرب منه؛ لأن من بذل نفسه ودمه في إعزاز دين الله ونصرة دينه ونبيه، فلم تبق غاية وراء ذلك وليس في أعمال البر، ما تبذل فيه النفس غير الجهاد، فلذلك عظم الثواب عليه<sup>(٤)</sup> وهذا المقام

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٣٨.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الرياض: دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ٢٤٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب تقي الجاهد أن يرجع إلى الدنيا، حديث رقم: ٢٨١٧ (٤/٢٢). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم: ٤٩٧٦ (٦/٣٥).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلان البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص: ٣٠.

العظيم كان محباً إلى النبي ﷺ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجَعَ إِلَيْكُمْ وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرُ الشَّهِيدِ » قَالَ ابْنُ أَبِي عَمِيرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَلَأنَّ أَقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ »<sup>(١)</sup> . وقد نال النبي ﷺ هذه الميزة بعد أن أنجاه الله من كثير من مؤامرات الأعداء ليبلغ الرسالة ويكمل الدين، فقد خرج يوم الهجرة من بين فتيان قريش المشركين المتربصين أمام بيته، وأنجاه الله في الغزوات من محاولات الهجوم عليه لقتله، وكذلك نجا من أخطر السيف، ووقف به على رأسه وهو نائم، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَفَلَ مَعَهُ فَأَذْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلَاتًا. فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ<sup>(٢)</sup> . وكذلك أنجاه الله من مؤامرات يهود بني النضير على قتله، بإلقاء الحجر على رأسه وهو جالس بجانب حائط لهم، وقد أنجاه الله من سحرهم حيث سحره، وأنجاه الله من سم جعلوه له في الطعام يوم خيبر، حيث سموه، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِئَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ. قَالَ « مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَى ذَاكَ ». قَالَ أَوْ قَالَ « عَلَيَّ ». قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: « لَا ». قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup> .

قال: ابن الجوزي في كشف المشكل: (أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، هذا كان في غزاة خيبر واسم هذه اليهودية زينب بنت الحارث)<sup>(٤)</sup> وقد بقي أثر السم محبوساً عن فعله حتى يقضي الله أمره، عصمة من الله لرسوله فيقوم بتمام رسالته، وعندما حانت ساعة وفاته ﷺ جعل الله هذا السم سبباً لشهادته، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ<sup>(٥)</sup> ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٦)</sup> ، قَالَ: لِأَنَّ أَحْلَفَ تَسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا، وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا قَالَ

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب الجهاد-باب تمى القتل في سبيل الله، حديث رقم: ٤٣٤٦ (٤/٢٩٣). حسنه الألباني .

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، حديث رقم: ٢٩١٠ (٤/٤٠).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الهبة وفضلها وتحريض عليها-باب قبول الهدية من المشركين، حديث رقم: ٢٦١٧ (٣/١٦٣). وانظر صحيح مسلم-كتاب السلام-باب السم، حديث رقم: ٥٨٣٤ (٧/١٤).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ، ج ١، ص: ٨٠٧.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْأَعْمَشُ<sup>(١)</sup> : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ : كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْيَهُودَ سَمُّهُ وَأَبَا بَكْرٍ<sup>(٣)</sup> . وقد أورد ابن القيم في زاد المعاد الروايات حول سم اليهود له ، وختم بقوله : ( وَقَدْ اخْتَلَفَ هَلْ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا أَوْ لَمْ يَأْكُلْ ؟ وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : ( مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْكُلَّةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيْرَ فَهَذَا أَوْ أَنَّ انْقِطَاعَ الْأَبْهَرِ مِنِّي )<sup>(٤)</sup> . قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهِيدًا )<sup>(٥)</sup> .

## ٢ - الصدق في الجهاد في سبيل الله :

صور الصدق في الجهاد في سبيل الله لا تعد مواقفها كثرة من حياة الرعيل الأول - جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن جاء بعدهم ، قال الله تعالى : ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا )<sup>(٦)</sup>

ومن صور صدق المجاهدين محبة الموت في سبيل الله ؛ فيتمنوا الموت دون الحياة في السلم والحرب ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ سَعْدًا قَالَ ، وَتَحَجَّرَ كَلِمُهُ<sup>(٧)</sup> لِلْبُرَى ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ فِيكَ ، مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ . اللَّهُمَّ ! فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبٍ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَقْبِنِي أَجَاهِدْهُمْ فِيكَ ، اللَّهُمَّ ! فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَفْجِرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا ،

(١) سبقت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(٢) إبراهيم النخعي الإمام ، الحافظ ، فقيه العراق ، أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي ، اليماني ثم الكوفي ، أحد الأعلام ، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد . وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي ، ولم يثبت له منها سماع ، على أن روايته عنها في كتب أبي داود والنسائي والقزويني ، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل مع عدهم كلهم لإبراهيم في التابعين ، ولكنه ليس من كبارهم ، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود ، واسع الرواية ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، كثير الخاسن . قال أحمد بن عبد الله العجلي : لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وقد أدرك منهم جماعة ، ورأى عائشة . وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما ، وكان رجلا صالحا ، فقيها ، متوقيا ، قليل التكلف وهو محتف من الحجاج . قال يحيى بن معين : مراسيل إبراهيم أحب إلي من مراسيل الشعبي . توفي وله تسع وأربعون سنة . وفي سنن إبراهيم قولان : أحدهما عاش تسعا وأربعين سنة ، الثاني أنه عاش ثمانيا وخمسين سنة . مات سنة ست وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٢٠/٤) .

(٣) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حديث رقم : ٣٨٧٣ (٤١٨/٦) . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٤) انظر : سنن أبي داود - كتاب الديات - باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه ، حديث رقم : ٤٥١٤ (٢٩٦/٤) . حسنه الألباني .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١٤ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٣ ، ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٦) سورة الأحزاب : ٢٣ .

(٧) (كلم) الكاف واللام والميم أصلا : أحدهما يدل على نطق مُفْهِم ، والآخر على جراح . انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٣١/٥) وكَلَّمَهُ كَلَمًا جَرَحَهُ وَأَنَا كَالِمٌ وَرَجُلٌ مَكْلُومٌ وَكَلِيمٌ . انظر : لسان العرب لابن منظور (٥٢٢/١٢)

فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ<sup>(١)</sup>، فَلَمْ يَرْعُهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خِيَمَةٌ مِنْ بَنِي غَفَارٍ) إِلَّا وَالِدَهُمْ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ. فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخِيَمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ فَإِذَا سَعْدٌ جَرَحُهُ يَغْدُ دَمًا. فَمَاتَ مِنْهَا<sup>(٢)</sup>. في هذا الموقف يصرح سعد بن معاذ رضي الله عنه بحبه للجهاد في سبيل الله وقد رمي بسهم في أكحله في غزوة الخندق، ومرض من جرحه، ووضعت له خيمة في المسجد ليزوره الرسول ﷺ من قريب، وقد حقق الله رغبته في الشهادة واستجاب دعاءه، ولموته اهتز عرش الرحمن، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »<sup>(٣)</sup>. أورد ابن حجر في الفتح حاله: (وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر)<sup>(٤)</sup>

وحيث الإخلاص لله أصل القبول في سائر الأعمال، ويمثل الغاية في الجهاد والاستشهاد؛ فإن المثوبة الحسنة متعلقة بذلك؛ فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَائُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: ( مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ )<sup>(٥)</sup>. والله سبحانه هو أعلم بالنيات، ومن صدق الله أوفاه الله على صدقه، وبلغه ما يتمنى، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمَيْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُقَالُ لَهُ: حُمَمَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَرَجَ إِلَى أَصْبَهَانَ غَازِيًا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ حُمَمَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَكَ، فَإِنْ كَانَ حُمَمَةً صَادَقًا فَأَعِزِّمْ لَهُ بِصَدَقِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَأَعِزِّمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَرِهَ اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّ حُمَمَةَ مِنْ سَفَرِهِ هَذَا. قَالَ: فَأَخَذَهُ الْمَوْتُ، وَقَالَ عَفَانُ<sup>(٦)</sup> مَرَّةً: الْبَطْنُ، فَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ. قَالَ: فَقَامَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا فِيْمَا سَمِعْنَا مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَمَا بَلَغَ عَلَمَنَا إِلَّا أَنَّ حُمَمَةَ شَهِدَ<sup>(٨)</sup>. وقد ثبت في السنة أن من صدق الله في طلب الشهادة بلغه الله منزلة الشهداء، ولو مات على فراشه، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ». وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ فِي حَدِيثِهِ « بِصِدْقٍ »<sup>(٩)</sup>. ولمعرفة الصحابة رضي الله عنهم فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل

(١) من لب) اللام والباء. أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة اللبّة، وهو موضع القلادة من الصدر، وذلك المكان خالص. وكذلك اللبّ. يقال: لبب الرجل: ضربت لبته. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٩٩/٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، حديث رقم: ٤٦٩٩ (١٦١/٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب مناقب الأنصار- باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨٠٣ (٣٥/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٥٠٠ (١٥٠/٧).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٧، ص: ٤١٥

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم: ٢٨١٠ (٢٠/٤). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الإمامة- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم: ٥٠٢٨ (٤٦/٦).

(٦) حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري، ثقة، كان فقيها عالما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وروى عنه بن سيرين وأهل البصرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٤) و رجال صحيح البخاري (١٧٦/١) والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٣٥٣/١).

(٧) عفان بن مسلم أبو عثمان الصغار الباهلي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٨) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، حديث رقم: ١٩٦٥٩ (٤٢٨/٣٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح إن ثبت سماع حميد بن عبد الرحمن الحميري لهذه القصة من أبي موسى.

(٩) انظر: صحيح مسلم- كتاب الإمامة- باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، حديث رقم: ٥٠٣٩ (٤٨/٦).

الله أحبوه فوق المال والولد عن عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ حَبِيبِ الْعَوْذِيِّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ سَنَانَ<sup>(١)</sup> بَنِ سَلَمَةَ مَكْرَانَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ سَنَانُ بْنُ سَلَمَةَ: حَدَّثَنِي أَبِي سَلَمَةُ بْنُ الْمُحَبِّقِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ لَهُ حُمُولَةٌ يَأْوِي إِلَى شَيْعٍ، فَلْيَصُمْ رَمَضَانَ حَيْثُ أَدْرَكَهُ. وَقَالَ سَنَانُ: وَلِدْتُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَبَشَّرَ بِي أَبِي، فَقَالُوا لَهُ: وَلَدَ لَكَ غُلَامٌ، فَقَالَ: سَهُمٌ أَرْمِي بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا بَشَّرْتُمُونِي بِهِ، وَسَمَّيْنِي سَنَانًا.<sup>(٣)</sup> حيث فقهوا معنى قول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)<sup>(٤)</sup> وانتصر المسلمون في أول عهدهم بصدقهم في الجهاد، وحبههم لله ولرسوله وتفضيل الآخرة على الدنيا حيث تأصل في نفوسهم أن الدنيا ممر للآخرة، وأن متاعها قليل؛ فهي متاع الغرور والآخرة خير وأبقى.

### ٣- الرحمة في الجهاد في سبيل الله:

الرحمة من عظام الدين في الإسلام، وهي صفة الله رب العالمين، والجهاد غايته العظمى الرحمة بهداية الناس إلى عبادة الله وحده، فليس القتال هدفا ولا المكاسب المالية والمادية غاية له؛ بل نشر الإسلام والدعوة إليه هي المقصد، وبها رحمة الناس وإنقاذهم من النار، وحتى القتال وسامه الرحمة وحسن المعاملة والإحسان، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا وَلَا طِفْلاً وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغْلُوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلَحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»<sup>(٥)</sup>. وقد حيب هذا الإحسان الإسلام إلى نفوس الناس، وشهد بذلك السيرة النبوية وسيرة

(١) سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي، يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل يكنى أبا جبير روى وكيع عن ابنه عنه أنه قال: ولدت يوم حرب كانت للنبي ﷺ فسماني سناناً، وقد قيل: إنه لما ولد قال أبوه سلمة بن الحقيق لسنان أقاتل به في سبيل الله أحب إلي منه، فسماه رسول الله ﷺ سناناً. وروى عنه أنه قال: ولدت في يوم حرب كانت للنبي ﷺ فذهب بي أبي إلى رسول الله ﷺ فحنكني، وتفل في في، ودعا لي وسماني سناناً. وكان من الشجعان الأبطال الفرسان. قال أبو اليقظان: لما قتل عبد الله بن سوار، كتب معاوية إلى زياد: انظر رجلاً يصلح لثغر الهند فوجهه. فوجه زياد سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي. وقال خليفة بن خياط: ولي زياد سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي غزو الهند، بعد قتل راشد بن عمرو الجريري، وذلك سنة خمس. ولسان هذا خبر عجيب في غزو الهند. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٠٢/١).

(٢) مكران بالضم ثم السكون وراء وآخره نون أعجمية، افتتحت في أيام عمر، قال ابن الكلبي كان الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي، ولي زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة الحقيق الهذلي وكان فاضلاً متألهاً، وأقام بها وضبط البلاد، قال أهل السير سميت مكران بمكران بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام أخي كرمان لأنه نزلها واستوطنها، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى، وهذه الولاية بين كرمان من غربها وسجستان شمالها والبحر جنوبها واهند في شرقها قال الإصطخري مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها الفاويز والقحط، وأكبر مدينة بمكران القربون. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٧٩/٥).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين، حديث رقم: ٢٠٠٧٢ (٢٦٠/٣٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) سورة التوبة: ٢٤.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في دعاء المشركين، حديث رقم: ٢٦١٦ (٣٤٢/٢). قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات؛ غير ابن الفرز، فإنه مجهول؛ كما يشير إلى ذلك قول ابن معين: "ما سمعت أحداً يروي عنه غير الحسن بن صالح". وقال أبو حاتم: "شيخ". وذكره ابن حبان في "الثقات" (٢٠٧/٤).

الخلفاء الصالحين من بعده، حيث أورثت تاريخاً ناصحاً بدخول الأعداء في دين الله أفواجا، حبا في الإسلام ومتأثرين بمعاملة المسلمين لهم قبل المعركة وفي الأسر وبعدها.

#### ٤ - الإعداد للجهد في سبيل الله:

الإعداد للجهد بوسائل القوة من الدور الحكيم للقائد؛ بل واجب من واجباته في حفظ الدين والأموال والأعراض، ولن تكون هذه الحماية إلا بتكوين الجيش القوي الذي يشعر الأعداء به؛ فيخافون من سطوته، وبه يستطيع المسلمون نشر الإسلام والدفاع عنه، قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)<sup>(١)</sup> تدل الآية وتحت على الإعداد والاستعداد، فمن أسس الجهاد تعلم الرمي وإن القوة كما أوضحت السنة النبوية تكون في الرمي على جميع أشكاله وشتى صوره لعموم اللفظ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»<sup>(٢)</sup>. وعن خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنت مع عقبة بن عامر الجهني وكان رجلاً يحب الرمي، إذا خرج خرج بي معه، فدعاني يوماً فأبطأت عليه، فقال: تعال أقول لك ما قال لي رسول الله ﷺ وما حدثني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب في صنعه الخير والرامي به ومنبله<sup>(٣)</sup>، وقال: ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها»<sup>(٤)</sup>.

ومن حسن الإعداد للجهد اختيار الجند الأقوياء بحسب المهمة التي يقوم بها الجاهد، سواء هذه القوة في صلاحه وتقواه، أو في بدنه أو عقله أو خبرته أو إتقانه لمهنته، والعامل النفسي من أهم المقومات التي يعتمد

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم: ٥٠٥٥ (٥٢/٦).

(٣) (نبل) النون والباء واللام أصل صحيح يدل على فضل وكبر، ثم يستعار منه الحذق في العمل، فيقال للفضل في الإنسان نبل. والنبل: عظام المدر والحجارة. ويقال: نبل ونبل. وفي الحديث: "أعدوا النبل". ويقولون: إن النبل هاهنا الصغار، وإنها من الأضداد، ونبلني أحجاراً للاستنجا: أغطيها. وفي الباب قياس آخر يدل على رمي الشيء وتبذره وخفة أمره. منه النبل: السهم العربية. والتأبل: صاحب النبل، والنبل الذي يعمل. ونبلته: رميته بالنبل. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٣/٥).

(٤) انظر سنن أبي داود-كتاب الجهاد-باب في الرمي حديث رقم: ٢٥١٥ (٣٢٠/٢)، وانظر مسند الإمام أحمد-مسند الشاميين رضي الله عنهم حديث رقم: ١٧٣٣٥ (٥٧٢/٢٨). ضعف سنده الألباني وصح بعض أجزائه، تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

عليها نجاح الجهاد في مهمته، حيث الضعف النفسي مدعاة للفشل وفشل المجاهد يمثل خلافاً في قوة الجيش؛ فيمنى بالهزيمة والخسارة، وضعف المجاهد المشغول ببنائه بزواج أو زراعة زرع، أو بناء بيت يضاعف الجيش لضعف القوة المعنوية، وبوب البخاري في صحيحه الجامع، باب من أحب البناء قبل الغزو (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكٌ بَضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمْ يَنْ بِنَهَا) <sup>(١)</sup>. ومن سنن النبي ﷺ في جهاده عدم الإفصاح عن وجهة الغزوة، محافظة على سر المسلمين وقوقهم، وألا يأخذهم العدو بمرصده أو كيد يعده لهم، فمن أهم أمور الجهاد والقتال سرية المعلومات والحفاظ على الخطة من تسربها للعدو، وفي غزوة تبوك فمن أجل الظروف الصعبة، من الحر وبعد المسافة عن المقر؛ أخبر النبي ﷺ المسلمين بوجهته على غير عادة؛ لأخذ الاستعداد والوضوح الذي يجب أن يلزمه القائد مع أفراد وجنده، عندما تكون الأمور مصيرية وغير واضحة النتائج؛ فلا يكن الجند في معزل عن القرار، فإن الكل داخل تحت المسؤولية، وهنا تكمن محبة القائد لجنده ألا يوردهم المهلكات على غرور منه، وغرر منهم، وتكمن محبة الجند لقائدهم ألا يتخلفوا عنه وقت المحنة أو في الظروف الصعبة، عن عبدالله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بني حنينة - قال: سمعتُ كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث حين تخلف عن قصة تبوك «قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريدُ غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تَوَاقَفْنَا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريدُ غزوة إلا ورى غيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومَفَازاً، وعدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم. فأخبرهم بوجه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم يترل فيه وحى الله.... الحديث <sup>(٢)</sup>. وأعظم قوة هي قوة الله فلا يغفل المسلم عن القوة المعنوية في جهاده، من الإيمان بالله، والتوكل عليه، والثقة به، وأنه هو القوي العزيز الجبار القهار، والخلق خلقه والأمر أمره، وأن النصر من عنده والله غالب على أمره، وهنا في موطن المعركة على المسلم المجاهد أن يلجأ إلى الله بالدعاء كما كان يصنع رسول الله ﷺ في الجهاد والكرب، عن عبيد بن رفاعه الزرقني عن أبيه قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استعدوا حتى أتي على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: اللهم لك الحمد لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب النكاح-باب من أحب البناء قبل الغزو، حديث رقم: ٥١٥٧ (٢١/٧).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم: ٤٤١٨ (٣/٦).

عطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعنا، اللهم حبب إلينا وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق آمين<sup>(١)</sup>.

## ٥- الخروج للجهاد في سبيل الله:

يعد عامل الوقت من أهم العوامل في إدارة الجيوش والمعارك، سواء كان على مستوى التدريب والاستعداد، أو على مستوى التنفيذ والقتال، وتختلف ظروف البيئة ووسائل القتال من زمن لآخر، وعلى حسب وضعها يكون حساب الوقت والاهتمام به من جيل لآخر، ومن سنن النبي ﷺ في الخروج للجهاد، محبته ليوم الخميس واختياره للخروج بالجيوش فيه، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر في الفتح: (وأما الخروج يوم الخميس فلعل سببه ما روي من قوله ﷺ بورك لأمتي في بكورها يوم الخميس، وهو حديث ضعيف أخرجه الطبراني من حديث نبيط - بنون وموحدة - مصغر بن شريط بفتح المعجمة أوله، وكونه ﷺ كان يحب الخروج يوم الخميس لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه، وسيأتي بعد باب أنه خرج في بعض أسفاره يوم السبت)<sup>(٣)</sup> وقال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: ( وخروجه يوم الخميس لمعنى يجب أن يحمل عليه ويتبرك به؛ لأن لنا في رسول الله أسوة حسنة )<sup>(٤)</sup> والخروج للجهاد يعذر الله أهل الأعداء فيه لأمرين: رحمة بهم من عناء الجهاد وهم لا يستطيعونه، وتخفيفا على حمالة الجيش الذي يحتاج إلى الأقوياء وأهل السلامة في الجسد؛ حيث حمل أهل المرض والضرر، قد يشغل الجيش عن مهمته: قال الله عز وجل: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا )<sup>(٥)</sup> وقال الله عز وجل: ( لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى

(١) انظر سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - باب الاستنصار عند اللقاء، حديث رقم: ١٠٣٧٠ (٢٢٥/٩). صححه الألباني في الأدب المفرد . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : رجاله ثقات. قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب من أراد غزوة فوري بها ومن أحب الخروج يوم الخميس، حديث رقم: ٢٩٥١ (٤٩/٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ١١٣.

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٥، ص: ١٢٢.

(٥) سورة الفتح: ١٧.



الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾<sup>(١)</sup>.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، فجاء عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الزمانة وقد ترى، وذهب بصري. قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خشيت أن ترضها، فقال: اكتب {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر، والمجاهدون في سبيل الله}»<sup>(٢)</sup>. وفضل الله عظيم في عطائه، فقد أعطى أهل الأعداء الأجر على نياهم، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْمَرَضُ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية البخاري (حبسهم العذر). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (وفي رواية إلا شركوكم في الأجر قال أهل اللغة شركه بكسر الراء بمعنى شاركه وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه)<sup>(٤)</sup>.

## ٦- الصبر في أرض المعركة:

إن أرض المعركة هي الموقف الحاسم في أمر الجهاد والقتال حيث هي موطن تنفيذ الخطة وتمثل إما النصر أو الموت ولا مجال حين التحام الصفوف أو انطلاق الحرب إلى التخاذل أو التنازع قال الله تعالى: (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ﴿٩٢﴾ وهنا تظهر محبة المسلم لدينه بالثبات وذكر الله، وصدقه مع ربه بصبره ولزومه الأمر بالسمع والطاعة والله يحب الصابرين، قال الله تعالى: (وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ مَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ﴿٩٣﴾، وحيث التنازع في الجهاد سبيل الفشل، فقد عاتب الله

(١) سورة التوبة: ٩١ - ٩٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث زيد بن ثابت، حديث رقم: ٢١٦٠١ (٤٨٠/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم: ٥٠٤١ (٤٩/٦).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٣، ٥٧.

(٥) سورة الأنفال: ٤٥ - ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٤٦.

المؤمنين في اهتم بالفشل لإظهارهم اختلاف الرأي في وقت حرج من غزوة أحد أثناء الاستعداد، وعاتبهم أيضا، على عصيان أمر الرسول ﷺ أثناء المعركة حينما نزل الرماة من الجبل، وقد أبان الله تعالى خطورة التنازع لمن هم بالفشل والفرار عن رسول الله ﷺ، وأثبت لهم ولايته لما معهم من إيمان وفرحوا بذلك: عن جابر رضي الله عنه قال: ( نزلت هذه الآية فينا: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا )<sup>(١)</sup> بني سلمة وبني حارثة، وما أحبُّ أنَّها لم تَنَزَّلْ والله يقول: (والله وليهما)<sup>(٢)</sup> والولاية من الله قوة وحفظ وفضل؛ وكذلك فقد عفا الله عن المؤمنين الذين انكسر المسلمون بسببهم يوم أحد حيث نزلوا عن مواقعهم المحددة لهم من الرسول ﷺ وهموا بجمع الغنائم؛ فانكشف المسلمون للمشركين، وأصابوا منهم سبعين شهيدا، وشجوا النبي ﷺ وكسروا رباعيته، قال الله تعالى: ( وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ<sup>ط</sup> حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ<sup>ع</sup> مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ<sup>ط</sup> ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> لقد أراهم الله النصر، قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: (أي صدقكم الله وعده إلى أن فشلتم، أي كان ذلك الوعد بشرط الثبات. ومعنى {تَنَزَّعْتُمْ} اختلفتم؛ يعني الرماة حين قال بعضهم لبعض: نلحق الغنائم. وقال بعضهم: بل نثبت في مكاننا الذي أمرنا النبي ﷺ بالثبوت فيه. {وَعَصَيْتُمْ} أي خالفتم أمر الرسول في الثبوت. {مَنْ بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ} يعني من الغلبة التي كانت للمسلمين يوم أحد أول أمرهم؛ وذلك حين صرع صاحب لواء المشركين على ما تقدم، وذلك أنه لما صرع انتشر النبي ﷺ وأصحابه وصاروا كتائب متفرقة فحاسوا العدو ضربا حتى أجهضوهم عن أثقالمهم. وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلوبة، وحمل المسلمون فهكوهم قتلا. فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله عز وجل قد فتح لإخوانهم قالوا: والله ما نجلس ههنا لشيء، قد أهلك الله العدو وإخواننا في عسكر المشركين. وقال طوائف منهم: علام نقف وقد هزم الله العدو؟ فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ﷺ ألا يتركوها، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلا. وألفاظ الآية تقتضي التوبيخ لهم، ووجه التوبيخ لهم أنهم رأوا مبادئ النصر، فكان الواجب أن يعلموا أن تمام النصر في الثبات لا في الانهزام. ثم بين سبب التنازع. فقال: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} يعني الغنيمة. قال ابن مسعود: ما شعرنا أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد. {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} وهم الذين ثبتوا في مركزهم، ولم يخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبد الله بن جبير<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران : ١٢٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي- باب إذ همت طائفتان منكما أن تفشلا.

(٣) سورة آل عمران : ١٥٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٣٦ - ٢٣٧.

وفي أرض المعركة فهم الإسلام عن الخيانة مع العدو، وهي مع الصديق والنفس أولى ألا تكون، قال الله تعالى: (وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاْنِذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ)<sup>(١)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: ( قول تعالى ذكره: (وإما تخافن)، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهد. وينقض عقده، ويغدر بك وذلك هو "الخيانة" والغدر، فانذِر إليهم على سواء)، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم، أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر (إن الله لا يحب الخائنين) الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد)<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَتُوا لَا تَحْوَثُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَحْوَثُوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup> ومنه نعلم أن عموم الخيانة من الأمور المنافية لحبة الله، وأن المؤمن لا يغدر ولا يخون، وفي أصعب المواقف حيث الحرب والقتال أمرنا بعدم الخيانة وغيرها أولى.

وفي أرض المعركة من سنة النبي ﷺ في جهاده مناهضة العدو عند الزوال: عن عبدالله بن أبي أوفى قال: «كان النبي ﷺ يجب أن ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس»<sup>(٥)</sup>. قال ابن حجر في شرحه: ( باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ) أي هذا باب يذكر فيه كان النبي إلى آخره... والحكمة فيه أن الشمس إذا زالت قُب رِيَّاحِ النَّصْرِ، ويتمكن من القتال بوقت الإبراد وهبوب الرياح؛ لأن الحرب كلما استحرت وحمي المقاتلون بحركتهم فيها وما حملوه من سلاحهم، هبت أرواح العشي، فبردت من حرهم ونشطتهم، وخففت أجسامهم بخلاف اشتداد الحر، وقد روى الترمذي من حديث<sup>(٦)</sup> النعمان بن مقرن رضي الله عنه،

(١) سورة الأنفال: ٥٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص: ٢٥.

(٣) سورة الأنفال: ٢٧.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قُرَيْظَةَ لِيَتَرَلَوْا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فاستشاروه في ذلك، فأشار عليهم بذلك - وأشار بيده إلى حلقه - أي: إنه الذبح، ثم فطن أبو لبابة، ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة، فربط نفسه في سارية منه، فمكث ذلك تسعة أيام، حتى كان يجر مغشياً عليه من الجهد، حتى أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يخلوه من السارية، فحلف لا يخله منها إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله، فقال: يا رسول الله، إني كنت نذرت أن أخلع من مالي صدقة، فقال يجزيك الثلث أن تصدق به" ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٠) .

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين، حديث رقم: ١٩١٤١ (٤٨٢/٣١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب السير عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، حديث رقم: ١٦١٢ (١٥٩/٤). وضعه الألباني .

قال: غزوت مع النبي ﷺ فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قاتل فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس فإذا زالت الشمس قاتل حتى العصر، ثم يمكس حتى يصلي العصر، ثم يقاتل وكان يقال عند ذلك تميج رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم<sup>(١)</sup>. وكما كان النبي ﷺ يحب منازل العدو في أوقات محددة، فقد كان يعطي الراية لمن يحب ويرى فيه القدرة على حملها دون غيره، عن سلمة بن كهيل قال: «كان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خير وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فخرج عليٌّ رضي الله عنه فلحق بالنبي ﷺ. فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجلاً يحب الله ورسوله - أو قال: يحب الله ورسوله - يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه»<sup>(٢)</sup>.

وفي أرض المعركة كان من سنته ﷺ محبة البقاء بمقر الجيش المغلوب ثلاثة أيام، عن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غلب على قوم أقام بالعرصة<sup>(٣)</sup> ثلاثاً. قال ابن المشي: إذا غلب قوماً أحب أن يقيم بعرضتهم ثلاثاً»<sup>(٤)</sup>. وهذا البقاء يعزز قدرات الغالب ويضعف معنويات المغلوب ويعطي صيتاً بظهور المسلمين وعزتهم.

وللحراسة فضل عظيم في الجهاد في سبيل الله، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)<sup>(٥)</sup>. ويحتاج المسلمون للحراسة في مواطن الجهاد وغيرها ومن أهم هذه المواطن وقت المبيت أو الاستعداد للجهاد في الإقدام أو الإقفال، عن عقيل بن جابر عن جابر رضي الله عنه، قال «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ - فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أُهْرِقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونَا بِفِمْ الشَّعْبِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فِمْ الشَّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَآتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٢١، ص: ٤٨٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير- باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٧٠٢ (١٨/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٧ (١٢٢/٧).

(٣) من (عرض) العين والراء والصاد أصلان صحيحان: أحدهما يدل على إطلال شيء على شيء، والآخر يدل على الاضطراب. ومن الباب: عَرَصَةُ الدَّارِ، وهي وَسْطُهَا، والجمع عَرَصَاتٌ وَعَرَاصُ، ويقال: سَمِيتَ عَرَصَةً لِأَنَّهَا كَانَتْ مَلْعَبًا لِلصِّيَّانِ وَمُخْتَلَفًا لَهُمْ يَضْطَرِبُونَ فِيهِ كَيْفَ شَاءُوا. وكذلك هنا أرض المعركة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٦٧).

(٤) انظر سنن أبي داود-كتاب الجهاد- باب في الإمام يقيم عند الظهور على العدو بعرضتهم حديث رقم: ٢٦٩٧ (١٦/٣)، وانظر مسند الإمام أحمد- أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين حديث رقم: ١٦٣٥٥ (٢٦/٢٧٤).

(٥) انظر سنن الترمذي- كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله حديث رقم: ١٦٣٩ (١٧٥/٤). وضعفه الألباني .

أَنْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيَّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَتَّبِعْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَى؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُوْهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا<sup>(١)</sup>. قال العيني في شرحه: ( قوله: " ربيئة " الربيئة - بفتح الراء وكسر الباء - هو العين والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف - ينظر منه، من رباً يربأ، من باب فتح يفتح، يقال: يربأ أهله، أي: يحفظهم من عدوهم، وارتبأت الجبل، أي: صعدته<sup>(٢)</sup> ) ويظهر من موقف الصحابي ﷺ وصبره على ألم جراح السهام ما يتمتع به من الشجاعة وعزيمة الجهاد في سبيل الله، التي يؤكد لها عزيمة العبادة وقوة الإيمان، ويدل عليها خشوعه في صلاته، ومحبه للقرآن، قال: ( كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُوْهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا ).

#### ٧- الفرح بنتائج الجهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> قال ابن كثير في تفسيره: ( تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة، رضي الله عنهم، أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه، فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذا الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال: { تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها. ثم قال: { يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات، والمسكن الطيبات، والدرجات العاليات؛ ولهذا قال: { وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }. ثم قال: { وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا } أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها، وهي: { نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتكم دينه، تكفل الله بنصركم<sup>(٤)</sup> )

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب الوضوء من الدم حديث رقم: ١٩٨ (٧٧/١)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث رقم: ١٤٧٠٤ (٥١/٢٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأنزوط على المسند: حديث حسن.

(٢) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص: ٣٥٤.

(٣) سورة الصف: ١٠ - ١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ، ج٨، ص: ١١٢.

لقد امتن الله على المؤمنين بالنصر في بدر وفي مواطن كثيرة، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ) <sup>(٢)</sup> ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) <sup>(٣)</sup> وهذا النصر، فضل من الله يستوجب الشكر، حيث النصر محب للنفس بل من متطلباتها التي تسعد بها في الحياة، وقد تميز نصر المؤمنين عن غيرهم، بما قام عليه الدين من نصرة الدين الحق ورفع الظلم ونشر العدل، وفي مواطن الانكسار كيوم أحد أو يوم الحديبية يفتح الله للمؤمنين أبواب البشائر، بالفتح والنصر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، حَدَّثَنِي قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ}، إِلَى قَوْلِهِ: {فَوَزًا عَظِيمًا} (الفتح: ١-٥) مَرَجَعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ. فَقَالَ: «لَقَدْ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» <sup>(٤)</sup>. ونصر الله لجند الإسلام وإعلاء كلمته كان سببا في إسلام الأعداء الذين أخذتهم العزة بالإثم، وغلظت قلوبهم وعميت عن الحق سنين عديدة؛ فالقوة الغالبة تجعل الأعداء يشبثون من الحق ويتبعونه عن رضا وقناعة، ولو لم يغلبوا لبغوا واستكبروا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهل خيائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يعزَّوا من أهل خيائك. قال: وأيضا والذي نفسي بيده. قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلا مسيكا، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا أراه إلا بالمعروف» <sup>(٥)</sup>. قال ابن حجر في الفتح: (وكانت هند لما قتل أبوها عتبة وعمها شيبه وأخوها الوليد يوم بدر، شق عليها، فلما كان يوم أحد وقتل حمزة فرحت بذلك، وعمدت إلى بطنه فشقتها، وأخذت كبده فلاكتها، ثم لفظتها، فلما كان يوم الفتح ودخل أبو سفيان مكة مسلما، بعد أن أسرته خيل النبي ﷺ تلك الليلة، فأجاره العباس غضبت هند لأجل إسلامه، وأخذت بلحيته، ثم أتت بعد استقرار النبي ﷺ بمكة جاءت فأسلمت وبايعت) <sup>(٥)</sup> وتمثل الغلبة للجيش المسلم الفرح بنصر الله، وانقطاع الآمال الوهمية، والأمان الكاذبة التي تسيطر على نفسية المعاندین للحق، فلا يبقى لهم إلا الإذعان للحق، وكبح جماح الباطل من نفوسهم، فتتقلب العداوة إلى محبة، ويظهر الحق على الباطل، قالت هند بنت عتبة: (ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يعزَّوا من أهل خيائك) وهكذا تتم الفرحة للمسلم الجديد بإسلامه، ويفرح كل مسلم، بكل مسلم جديد يدخل إلى دين الإسلام.

(١) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة: ٢٥-٢٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ٤٧٣٧ (٥/١٧٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها، حديث رقم: ٣٨٢٥ (٥/٣٩).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٥٠٨.

## المبحث الثاني

### أثر المحبة في وسائل الدعوة

تعريف الوسيلة في اللغة:

أصل كلمة الوسيلة من (وسل) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ( الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جداً. الأولى الرَغْبَةُ والظَّلَبُ. يقال وَسَلَ، إذا رَغِبَ. ) والوَاسِلُ: الراغب إلى الله عز وجل )، وهو في قول لبيد: بلى كل ذي دينٍ إلى الله وَاسِلٌ. ومن ذلك القياس الوَسِيلَةُ. والأخرى السَّرِقَةُ: يقال: أَخَذَ إِبْلَهُ تَوْسُلًا<sup>(١)</sup>

وأورد الجوهري في الصحاح: (الْوَسِيلَةُ: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسِيلُ والوَسَائِلُ)<sup>(٢)</sup> وفي لسان العرب لابن منظور ( الوَسِيلَةُ المُنْزِلَةُ عند المَلِكِ، والْوَسِيلَةُ الدَّرَجَةُ، والْوَسِيلَةُ الْقُرْبَةُ، وَوَسَلَ فلانٌ إلى الله وَسِيلَةً إذا عَمِلَ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ )<sup>(٣)</sup>

تعريف الوسيلة الدعوية في الاصطلاح:

إن الوسائل في الدعوة إلى الله، هي من الأمور التي يستخدمها الدعاة في تبليغ الإسلام، وتظهر جلية في أشياء محسوسة كالهدية مثلاً، ويطلق عليها الوسائل المادية، وقد تكون مشاعر وجدانية وقيماً نفسية، كالصبر على الأذى والحزن لفقد عزيز مثلاً، ويطلق عليها الوسائل المعنوية، وليس من وسيلة مادية إلا ولها مشاعر وقيماً معنوية، وهذا التقسيم يظهر حسب ما يغلب على كل وسيلة حين استخدامها. وحين الجمع بينهما في الدعوة إلى الله تكون الرسالة أبلغ و الاستجابة أقرب، وحسن استخدام هذه الوسائل له دور كبير في قوة تأثيرها، وقد صاغ لها أهل العلم تعريفات محددة؛ لأهميتها في علم الدعوة إلى الله، ومن هذه التعريفات:

— تعريف الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ( هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته )<sup>(٤)</sup>

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة ( وسل ) (١١٠/٦).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة ( وسل ) (٢٧٩/٢).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة ( وسل ) (٧٢٤/١١).

(٤) رسالة في الدعوة إلى الله، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، المدينة المنورة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص: ١١.

- تعريف الدكتور علي عبد الحليم محمود: ( هي كل طريقة مشروعة يلجأ إليها الداعي إلى الله ليحقق بها أهداف دعوته )<sup>(١)</sup>

- تعريف الدكتور سعيد القحطاني: ( هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور )<sup>(٢)</sup>

- تعريف الدكتور عبد الرحيم المغذوي : ( ما يتوصل به إلى دعوة الناس وفق منهج الدعوة القويم )<sup>(٣)</sup>

ولعل المتأمل في التعريفات السابقة يجد أنها متوافقة في المستخدم والهدف وهما الداعية والبلاغ، وأهمت الوسائل لتعددتها الذي لا يمكن حصره، وعبر عنها بالطرق أو ما يتوصل به أو ما يستعان به، وعليه يمكن لي أن أحدد معنى الوسيلة: بأنها ما يستعين به الداعية إلى الله من أشياء مادية ومعنوية مشروعة لإيصال دين الله للمدعوين بطريقة ناجحة. فهل من الممكن أن تكون الوسيلة ذات نتائج عكسية سلبية ؟ وللجواب، يمكن القول هنا: نعم، إذا لم يتحقق فيها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون من الوسائل الجائزة والمباحة شرعاً، فلكل وسيلة حكمها وضوابطها الشرعية. فمثلاً، لا تهدي قميصاً من حرير لرجل مسلم ليلبسه؛ حرمة الحرير الشرعية على الرجال في اللباس. ولا تكذب في سرد قصة واقعية على شخصيات معروفة، لم تحدث وقائعها. لأنه كذب وغيبة وكلاهما من كبائر الذنوب. ويجوز لك أن تهدي طيباً وكتاباً نافعا لفضل العلم وحل الطيب في الشريعة، وللداعية أن يسرد قصة حقيقية من الواقع دون التشهير أو التعبير بأصحابها للعظة والعبرة كقصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم.

الشرط الثاني: الاستخدام الصحيح لها، من حيث تحديد النوع والوقت المناسب والموقف السليم والموافقة لمن تستخدم معه. فمثلاً، لا ينبغي أن تتقدم لإلقاء موعظة في حضرة من شهد له بالمقام العلي في العلم، والجلس والمقام له، ولا ينبغي لداعية في يوم وفاة ولد لجاره أن يقيم حفل تكريم دعوي لابنه على تفوقه الدراسي أمام ناظري جاره. وكذلك النصيحة لمخطئ على الملأ، لا تعد نصيحة فهي أقرب للفضيحة. وكذلك زيارة المريض لوقت طويل يولد الحرج له ولأهله الضيق.

ولا شك أن الوسيلة الدعوية الصحيحة مثيرة للمحبة ومولدة للمودة بين الناس، وللمحبة أثر في الوسيلة حين تستخدم بطريقة سليمة، فيستخدم الداعية الوسائل التي يجيدها ويحبها، ولعل الأمر ليس من السهل إطلاقه حين الكلام عن وسائل الدعوة، خاصة ونحن في زمن تعددت فيه وسائل الاتصال، وتنوعت وسائل الإعلام، وتجددت الصناعات في أشكال شتى، وكثر الناس واختلطت الأجناس، وسهل اللقاء مع أي

(١) فقه الدعوة الفردية، د. علي عبد الحليم محمود، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٢هـ، ج١، ص: ١١١.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض: مطبعة سفير، ط١، ١٤١٢هـ، ص: ١٢٦.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الرياض: دار الحضارة، ط١، ١٤٢٩هـ، ج٢، ص:



جنس وبأسرع وقت، ومن المعلوم بالضرورة أن لكل موقف دعوي حكم خاص به، يشمل الداعية والمدعو وموضوع الدعوة وأسلوبها ووسيلتها وزمانها ومكانها، وأن الكلام الحسن بطيب كلماته، وصدق عباراته، واختيار مناسباته مكانا وزمانا من أفضل وأكمل وسائل الدعوة إلى الله، والتأمل في دعوات الأنبياء في القرآن الكريم يجد تكرار قوله تعالى عن أنبيائه: (وإذ قال )، والقرآن الكريم - كلام الله - أعظم ما يدعو به الداعية، وأبلغ تأثيرا في مسمع المدعوين وقلوبهم، وقد أمر الله نبينا محمد ﷺ بذلك، قال الله تعالى: ( فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ )<sup>(١)</sup> وفي هذا المبحث أخص الحديث عن المحبة وأثرها في وسائل الدعوة؛ لأنه من اليقين أن المحبة تقوى بالوسائل الدعوية والمعنوية والمادية، والتي جاءت بلفظ الحب الصريح حسب نصوص الكتاب والسنة وأبين أثرها في المحبة، وأثر المحبة فيها، وفق ما يلي:

### المطلب الأول: أثر المحبة في الوسائل المعنوية

#### (١) البلاغ بالكلام:

إن هذه الوسيلة هي الغالبة في بلاغ الأنبياء أقوامهم رسالات الله، أي إيصال المعاني والأوامر والنواهي بالكلام واللغة التي يفهمها قومه، قال الله تعالى: ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )<sup>(٢)</sup>. وكذلك فعل النبي ﷺ مع قريش، عن أبي هريرة ؓ قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)<sup>(٣)</sup> دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ « يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابِلَهَا بِلَالُهَا »<sup>(٤)</sup>. قال ابن كثير في تفسيره: ( يقول تعالى آمرا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بإبلاغ ما بعثه به ويأفاده والصدع به، وهو مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ } أي: أمضه. وفي رواية: افعل ما تؤمر. وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة)<sup>(٥)</sup>. والبلاغ يكون كلاما. ومعنى الكلام قد يقع القبول له في القلب؛ لوضوح المعنى وقوة

(١) سورة ق : ٤٥ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، حديث رقم: ٥٢٢ (١/١٣٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٥٥١.

البيان، وطهارة الخلق بتوفيق الله وإلهامه الهدى لصاحبه، وإما يقع في القلب الصد والإعراض، لخبث الخلق وفساد الفطرة؛ فيكتب عليه الضلالة لحكمة يعلمها الله، قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار، عند تفسير قول الله تعالى: ( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ )<sup>(١)</sup> قال: ( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ أَي: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ اسْتِعْدَادًا لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَى بَبَقِيَّةٍ مِنْ نُورِ الْفِطْرَةِ، لَمْ تُطْفِئْهَا مَفَاسِدُ التَّوْبِيَةِ وَسُوءُ الْقُدُورَةِ، لَأَسْمَعَهُمْ بِتَوْفِيْقِهِ وَعَنَايَتِهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ سَمَاعَ تَفْقَهُ وَتَدَبَّرُ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ مَمَّنْ أَحَاطَتْ بِهِمْ خَطَايَاهُمْ، وَخُتِمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَا خَيْرَ فِيهِمْ (لَتَوَلَّوْا) عَنِ الْقُبُولِ وَالْإِذْعَانِ لِمَا فَهَمُّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُعْرِضُونَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ عَنْ قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ )<sup>(٢)</sup>، وبالحديث المباشر مع الناس - عبارة أو إشارة - يستطيع الداعية إلى الله أن يوصل الدعوة ويبلغ أوامر الله ونواهيه، سواء عن طريق الموعدة الحسنة، أو مخاطبتهم أثناء مشاركة الناس حياتهم العامة في مساجدهم وسوقهم وحيهم، وله دعوتهم بزيارات خاصة في محلاتهم وبيوتهم، والغاية من ذلك إصلاح المجتمع ومحاربة الفساد، قال الله تعالى: ( وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ )<sup>(٣)</sup> و البلاغ بالحث على الاستقامة على الطريق القويم هو المنهج الأصيل، وهو ديدن الأنبياء، قال الله تعالى: ( وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ لَتَتَّيُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ )<sup>(٤)</sup> ولقد كان النبي ﷺ داعية إلى الله في جميع أحواله، كونه الرسول ﷺ المبلغ عن ربه والأسوة الحسنة، ولكل مجتمع نظام خاص به، يجب أن يدركه الداعية كي يستطيع أن يكيف وسائل دعوته مع هذه الأنظمة، وحيث أصبح الحديث المباشر يتم بطرق متعددة، لا تنحصر في اللقاء المباشر بين الداعية والمدعو جسدا وزمانا ومكانا؛ فإن وسائل الدعوة قد تعددت بتطور وسائل الإعلام والاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة، وأصبحت الدعوة إلى الله تصل إلى أقصى الأرض في زمن يسير، ولأكبر شريحة من الناس، حسب لغاتهم مع اختلاف ألسنتهم. والداعية المحبوب لشخصه وعلمه وقوة بيانه تنتظر جماهير الناس دروسه العلمية، وتتناقل علمه بكل الوسائل الدعوية.

## ٢) ترتيب منازل الشرف بما يقوي الدعوة:

الدراسة النفسية لشخصية المدعو، وقدرة الداعية على اكتشاف مقومات شخصية المدعو، هما الأثر المعنوي البالغ في سداد طريق الدعوة، حيث يستطيع الداعية بناء المجتمع، بشخصيات مؤثرة تقوى بهم الدعوة، وتستمر في نتائجها الإيجابية، عن ابن عباس رضي الله عنهما: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ

(١) سورة الأنفال: ٢٣.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج ٩، ص: ٥٢٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٢٨ - ٢٩.

الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ<sup>(٢)</sup>. قال العظيم آبادي في شرح سنن أبي داود: (أَيُّ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ الَّذِي يَفْتَحِرُونَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ السَّمَاعَ، يَعْنِي الشَّرَفَ)<sup>(٣)</sup> ولم يغفل النبي ﷺ طلب العباس ﷺ بإعطاء أبي سفيان ﷺ مكانته الاجتماعية، ومراعاة لحالته النفسية بحبه الفخر؛ بل أكدها كوسيلة معنوية في الدعوة، (قال: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)، ومن هنا يستفيد الدعاة الدرس، بترتيب منازل الشرف بما يقوي الدعوة حسب شخصيات المدعوين وحاجة الدعوة. وقوة الدعوة في رجال العلم خاصة، ولا يمكن أن يتم البناء الدعوي أو يستمر بعد بنائه إلا بالعلم؛ لذا كان النبي ﷺ يحرص على مقام الأنصار والمهاجرين خلفه في الصلاة تعليمًا وحفظًا للدين، عن أنس: أن رسول الله ﷺ (كان يحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه)<sup>(٤)</sup> وهذا المنهج النبوي في الدعوة، ما اتخذ العلماء منهجًا في إبراز التلاميذ من بعدهم، وإجازتهم في شتى صنوف العلم، وإنزالهم في مراتبهم المستحقة.

### ٣) طرح الفوائد العلمية والأسئلة المعرفية في مجالس الدعوة بما يجلب المحبة والمؤالفة:

الإنسان مدني<sup>(٥)</sup> في حياته بطبعه، والمسلم نفعي لغيره بدينه، يسعى إلى نشر الخير وبث الألفة بين الناس، ومجلس المسلم في اجتماعه مع الناس مليء بالفوائد، والمسائل المعرفية والعلمية. والداعية إلى الله أجدر من غيره وألزم لنفسه بنشر العلم في مجلسه، والحرص على عدم هدر الوقت في غير فائدة، وإن طرح الفوائد العلمية يضيفي المحبة والمؤانسة بين أهل المجلس عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشَبِّهُ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ

(١) مرالظهران : الظهران : واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها (مر) تضاف إلى هذا الوادي فيقال (مر الظهران) ومر الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة، وقد جاء ذكرها في الحديث . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٣/٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الخراج والأمانة والفيء - باب ما جاء في خبر مكة، حديث رقم: ٣٠٢٣ (١٢٣/٣). حسنه الألباني .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٨٨هـ، ج ٨، ص: ٢٥٨.

(٤) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١١٩٦٣ (٢٧/١٩). وانظر : سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب من يستحب أن يلي الإمام، حديث رقم: ٩٧٧ (١٩/٢). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٥) مدني : هذه العبارة نسبة إلى المدينة، أي : حياة المدن، حيث يشترك الناس في العيش، وتبادل المنافع، بشكل يومي ومنظم . والحياة المدنية هي المغايرة للحياة البسيطة في القرى والأرياف. والتجمع الإنساني هو طبيعة في الناس، وفطرة تتجلى في البحث عن حياة الاستقرار؛ ومن أجل ذلك تكونت المدن والأقاليم والدول.

يَقُولُوا شَيْئًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ فَلَمَّا قُمْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلِّمْ، قَالَ: لَمْ أَرَكُمُ تَكَلِّمُونَ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ عُمَرُ: لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - مشاركة الناس في الأيام السارة ورفع الحرج عنهم:

إن موعظة - خطبة - العيدين واجتماع الناس فيهما، من الوسائل الدعوية المعنوية، التي تبرز فيهما مشاعر الحبة بين المسلمين والأقربين والجيران في أقوى مظاهرها، يبارك بعضهم لبعض، ويحمدون الله ويكبرونه على ما أتم به عليهم من نعمة العباداة، بصلاة أو صوم أو حج، ويدعون لبعضهم بقبول الأعمال الصالحة، وبوب البيهقي في سننه، ( باب مَا رُوِيَ فِي قَوْلِ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ )<sup>(٢)</sup>. والخطبة في هذين اليومين، وكذلك ظهر يوم الجمعة إذا توافقت مع أحد العيدين، هي محل للوصاية بتقوى الله وبيان واجبات الصلة والأحكام، والحث على إشاعة الحبة والمودة، وترك الهجر والقطيعة، وقطع دابر العداوة والبغضاء، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا، يَوْمَ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْآخَرُ يَوْمٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ<sup>(٣)</sup>. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ فَلْيَنْتَظِرْهَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ فَلْيَرْجِعْ، فَقَدْ أَذْنْتُ لَهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ مَحْظُورٌ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ النَّاسَ<sup>(٤)</sup> ويمثل اجتماع المصلين في العيد البهجة والسرور، وذكر الله وحمده وشكره على فضله وما وفق لإتمام عبادته، وكلا العيدين أتى بعد أداء شعيرة وركن من أركان الإسلام، عيد الفطر جاء بعد صوم رمضان، ويوم النحر جاء بعد يوم عرفة، والحج عرفة. ومن سماحة الإسلام التي تزيد في محبة الناس لهذا الدين أنه حين اجتماع يوم العيد مع يوم الجمعة؛ فإن حضور المسلم البعيد عن مجمع ومصلى المسلمين لخطبة العيد، يجزئ عن حضوره خطبة الجمعة على الاختيار، فمن خطبة عثمان ؓ: (فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ فَلْيَنْتَظِرْهَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير- سورة إبراهيم - باب قوله (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)، حديث رقم: ٤٦٩٨ (٧٩/٦).

(٢) انظر: سنن البيهقي (٣/٣١٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصوم - باب صوم يوم الفطر، حديث رقم: ١٩٩٠ (٤٢/٣). انظر: صحيح مسلم-كتاب الصوم - باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى، حديث رقم: ٢٧٢٧ (١٥٢/٣).

(٤) انظر: موطأ الإمام مالك - كتاب العيدين - باب الأمر بالصلاة قبل الخطبة في العيدين، حديث رقم: ٦١٣ (٢٤٩/٢).

فَلْيَرْجَعْ) ومسألة هل تسقط الجمعة عمن صلى العيد، مسألة خلافية بين العلماء، وهناك من أوجبها على الإمام إذا حضر له من تقوم بهم الجمعة، قال ابن قدامة في المغني: ( وَقَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ تَجِبُ الْجُمُعَةُ؛ لِعُمُومِ آيَةِ<sup>(١)</sup>، وَالْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِهَا وَلِأَنَّهَا صَلَاتَانِ وَاجِبَتَانِ، فَلَمْ تَسْقُطْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، كَالظُّهْرِ مَعَ الْعِيدِ. وَكُنَّا، مَا رَوَى إِيَّاسُ<sup>(٢)</sup> بَنُ أَبِي رَمْلَةَ الشَّامِيِّ، قَالَ: {شَهِدْتُ مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: هَلْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيدَيْنِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ؟ قَالَ: صَلَّى الْعِيدَ، ثُمَّ رَخَّصَ فِي الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ }<sup>(٣)</sup>. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَلَفْظُهُ {مَنْ شَاءَ أَنْ يُجْمَعَ فَلْيُجْمَعْ}. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: {اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجْمَعُونَ }<sup>(٤)</sup> }<sup>(٥)</sup> ومن المعلوم في حقيقة الدين أنه جاء باليسر و رفع المشقة، وما يسر به الناس، ويبعد عنهم العنت والسخط. وقد بوب البخاري في صحيحه الجامع، باب<sup>(٦)</sup> قول النبي ﷺ: «يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا» وكان يجب التخفيف والتسري على الناس.

##### ٥) اختيار الاسم الحسن في لفظه ومعناه والمناداة به:

إن الاسم الحسن له أثر في نفس صاحبه، وله وقع في تعامله مع الناس، حيث هو القرين الملازم له في شتى أحواله، فكان من سنته ﷺ أن يغير الأسماء التي فيها مخالفة صريحة للتوحيد، كعبد الكعبة حوله إلى عبد الله، وكذلك الاسم الذي فيه تركية مطلقة، كبرة أسمائها زينب، فمن الوسائل المعنوية للدعاية أن ينادي المدعويين بما يحبون من الأسماء، أو الكنى أو الألقاب، وهو باب واسع بسعة أصول اللغة وشمولها للمعاني الحسنة، وقد بوب البخاري في الجامع الصحيح باب<sup>(٧)</sup> أحب الأسماء إلى الله عز وجل وعن ابن المسيب<sup>(٨)</sup>، عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟ قال: حزن. قال: أنت سهل، قال: لا أغير

(١) سورة الجمعة : ٩.

(٢) إياس بن أبي رملة الشامي، سمع معاوية بن أبي سفيان، يسأل زيد بن أرقم عن: العيد والجمعة. روى عنه عثمان بن المغيرة الثقفي، روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي (٤٠٢/٣).

(٣) انظر: سنن ابن داود - كتاب الصلاة - باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد، حديث رقم: ١٠٧٢ (٤١٦/١). صححه الألباني.

(٤) انظر: سنن أبي داود - باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد، حديث رقم: ١٠٧٥ (٤١٧/١). صححه الألباني.

(٥) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ - ج ٢، ص: ٢١٢ - ٢١٣.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب قول النبي ﷺ يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ (٢٩/٨).

(٧) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب أحب الأسماء إلى الله عز وجل (٤١/٨).

(٨) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائل بن عمران بن مخزوم أبو محمد المخزومي، المدني، سيد فقهاء التابعين، روى عن أبيه وعن عمر واختلف في سماعه منه وعن عثمان وعلي وأبي موسى في آخرين، وعنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرون، قال قتادة: ما رأيت أحد قط أعلم بالحلال والحرام منه، وقال مكحول: ما لقيت أعلم منه، وقال سليمان بن موسى: إنه أفقه التابعين: وقال أحمد: إنه أفضل التابعين، وقال بن المديني: لا أعلم أحدا في التابعين أوسع علماً منه وهو عندي أجل التابعين، وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه،

اسماً سَمَانِيهِ أَبِي. قال ابن المسيَّب: فما زالتِ الحزونةُ فينا بعدُ»<sup>(١)</sup>.

## ٦) مؤالفة قلوب الناس بالمال والكلمة الطيبة الصادقة:

الكلمة الطيبة، وسيلة معنوية عظيمة، تبرز من خلالها أخلاق الداعية، وفيها قوة جذب للمدعوين، وترفع معنوية حب الدين في أنفسهم؛ فيزداد المجتمع المسلم تماسكاً، ويزداد مجتمع الدعوة محبة وألفة، ومن الكلام الطيب الثناء الطيب على أصحاب الخير، بما فيهم من صفات، فإن السمعة الطيبة لا توازيها الأموال الطائلة، وهذه الوسيلة من أعظم الوسائل المعنوية التي يجب ألا يغفل عنها الدعاة في دعوتهم، وهي ما يجب أن يكون بينهم أنفسهم، في زمن كثر فيه النقد، وضعف الإيمان إلا من رحم الله، وتجلّى الحقد، وظهرت آثاره السلبية على الدعوة والدعاة، وخرجت النصيحة عن الأبواب الشرعية بينهم إلى الأغراض الشخصية، وبدلاً من ذكر المحاسن والنصيحة في السر، برز نشر السيئات وإخفاء الحسنات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ)<sup>(٢)</sup> وهنا نؤكد بما ورد في السنة النبوية مسألة الموازنة بين المادية والمعنوية في طبيعة شخصية المدعو، فإن المال وسيلة مادية؛ لرفع المعنويات، وتصحيح الصفات كالهلع والجزع، وذلك بمؤالفة المسلم حديث العهد بالإسلام، ولكن الإسلام عندما يقر في القلب، فإن الخيرية هي المقاس في رفعتة وخلقه ومعدنه، عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ - أَوْ سَبِيٍّ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا. فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعِي الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِّمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَاهْلَاعِ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلَبَ» فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.<sup>(٣)</sup> قال ابن بطال في شرحه: ( وفي حديث عمرو بن تغلب دليل أن أرزاق العباد ليست من الله تعالى على قدر الاستحقاق بالدرجة والرفعة عنده، ولا عند السلطان في الدنيا، وإنما هي على وجه المصلحة، والسياسة لنفوس العباد الأمانة بالسوء، ألا ترى أنه رضي الله عنه كان يعطي أقواماً؛ ليداوي ما بقلوبهم من جزع، وكذلك المنع، هو على وجه الثقة بتميزه بما قسم الله له لمنعه رضي الله عنه أهل البصائر واليقين. قال غيره: وفيه من الفقه أن البشر فاضلهم ومفضولهم، قد جبلوا على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته، وهل لفاعل ذلك مخرج؟ وفيه أن المنع قد لا يكون

وقال ابن حبان: هو سيد التابعين، وقال الشافعي وأحمد وغير واحد: مراسيل بن المسيب صحاح، مات سنة ثلاث وقليل أربع وتسعين، ومولده سنة خمس عشرة وقليل سبع عشرة وقليل إحدى وعشرين. انظر: إسعاف البطأ برجال الموطأ (١٢/١) ..

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب اسم الحزن، حديث رقم: ٦١٩٠ (٤٣/٨).

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجمعة - باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، حديث رقم: ٩٢٣ (١٠/٢).

مذموماً، ويكون أفضل للممنوع لقوله ﷺ: ( وَأَكْلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ فِي قُلُوبِهِم مِّنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ ). وهذه المتزلة التي شهد لهم بها النبي ﷺ أفضل من العطاء الذي هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتبط بذلك بعد جزعه منه، وقال: ( ما أحب أن لي ذلك حمر النعم ) وفيه استتلاف من يخشى منه، والاعتذار إلى من ظن ظناً والأمر بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظان، واللوم له لكنه ﷺ رؤوف رحيم كما وصفه الله<sup>(١)</sup>

#### (٧) الحث على الشفاعة الحسنة:

إن الشفاعة الحسنة مما حض عليه الإسلام في القرآن والسنة، قال الله تعالى: ( مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا )<sup>(٢)</sup> وعن أبي موسى عليه السلام، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَائِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا. وَلَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»<sup>(٣)</sup>. والشفاعة الحسنة وسيلة دعوية، لمساعدة الناس على قضاء حاجاتهم، وجر النفع لهم، فيما لا يستطيعوا الوصول إليه بأنفسهم، والحسن فيها يقوم على النفع للفرد والمجتمع، وينافي المصرة بمصالح الأفراد ومقومات المجتمع، وبوجود المصرة، تخرج الشفاعة الحسنة من ميدان الحسنات إلى ميدان السيئات، فالناس في الحقوق سواسية، ولا يقدم إلا من كان مستحقاً ومؤهلاً في نظام المفاضلات الفردية والحاجات الاجتماعية، الذي يشملها نظام الحياة العادل في الإسلام، بأن يعطى كل ذي حق حقه، والناس في الحق سواسية كأسنان المشط، فإذا استطاع الدعاة إلى الله، بما أعطوا من العلم والمزلة، أن يشفعوا وينفعوا الناس أفراداً وجماعات، في قضاء حاجاتهم، فهذا مرغوب شرعي، لقول النبي ﷺ ( اشفعوا تؤجروا ) ولا شك أن هذا يولد المحبة بين الناس، ويجلب التقارب والألفة بين الدعاة والمدعويين، وخاصة بين الشافع والمشفوع له، ولن يكون السعي بالشفاعة الحسنة مسخط أحد على أحد حين قيامها على العدل؛ لأن الأمر بيد الله، والقضاء يمضي بما شاء الله وقدر وأحب، والشافع مأجور، سواء حصل المطلوب أم لم يحصل، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث: ( فِيهِ اسْتِحْبَابُ الشَّفَاعَةِ لِأَصْحَابِ الْحَوَائِجِ الْمُبَاحَةِ، سَوَاءَ كَانَتْ الشَّفَاعَةُ إِلَى سُلْطَانٍ وَوَالٍ وَنَحْوَهُمَا، أَمْ إِلَى وَاحِدٍ مِّنَ النَّاسِ، وَسَوَاءَ كَانَتْ الشَّفَاعَةُ إِلَى سُلْطَانٍ فِي كَفِّ ظُلْمٍ، أَوْ إِسْقَاطِ تَغْزِيرٍ، أَوْ فِي تَخْلِيصِ عَطَاءِ الْمُحْتَاجِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١٠، ص: ٥٣٦.

(٢) سورة النساء: ٨٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: ٦٠٢٦ (١٢/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، حديث رقم: ٦٨٥٨ (٣٧/٨).

في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تنميم باطل، أو إبطال حق، ونحو ذلك، فهي حرام<sup>(١)</sup>

#### ٨) توثيق الحديث بشهادة الصادقين:

إن من وسائل الدعوة المعنوية توثيق الحديث بشهادة العدول، فإن بها محبة الحق ومحبة الصادق والمصدق والمصدق عليه، ومنها ما استخدمه عثمان رضي الله عنه في إثبات محبته لقومه بني أمية على غيرهم، أسوة بما كان يفعل النبي ﷺ في محبته لقومه على غيرهم، أداء لحق القرابة والصلة، روى أحمد في المسند ( دَعَا عُثْمَانُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيهِمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَصْدُقُونِي نَسَدْتُكُمْ اللَّهُ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِرُ قُرَيْشًا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَيُؤْتِرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى يَدْخُلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ. فَبَعَثَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ - يَعْنِي عَمَارًا - أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذًا بِيَدِي نَتَمَشَّى فِي الْبُطْحَاءِ حَتَّى أَتَى عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَعَلَيْهِ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ أَبُو عَمَارٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الدَّهْرَ هَكَذَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اصْبِرْ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتُ<sup>(٢)</sup> ». محبة الأقارب أمر فطري وواجب شرعي، ولهم حق الإسلام والقرابة في حال الإسلام ولهم حق المصاحبة بالمعروف والإحسان في حال الكفر، قال عثمان رضي الله عنه ( لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها لبني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم ) وهي أعظم ما يهديه المسلم لقرابته؛ ليدخلوا الجنة، بدعوته إياهم إلى الخير؛ محبته لهم وحرصه على نجاحهم. وفي الحديث درس عظيم في الصبر الذي يعد من أعظم القربات في حياة المسلم، ومن أعظم الصفات في حياة الدعاة والمدعوين حيث يعد من الوسائل المعنوية الدعوية، فالصبر صفة لا تماثلها صفة في مواجهة الشدائد كالضراء والبأساء وهي فيهما أظهر من مواجهة الشهوات والطاعات، ولا يمر الحديث عنها دون ذكر أيوب عليه السلام وصبره على المرض، وذكر آل ياسر وصبرهم على عذاب المشركين في سبيل إيمانهم، حيث قضيا في سبيل الله ودعا لهما النبي ﷺ بالمغفرة والجنة.

#### ٩) ذكر المحاسن ورفع المعنويات:

عن ذكوان — حاجب عائشة رضي الله عنها: « أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله، فقال هذا عبد الله بن عباس يستأذن — وهي تموت — فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٤٣٩. (١/ ٤٩٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه.



فلما جلس قال: ابشري، فقالت: أيضاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبناء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: {فَتَيْمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله عز وجل — لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً<sup>(١)</sup>.

#### ١٠) المقارنة بين الأشياء:

إن المقارنة بين الأشياء في الحسنات والسيئات وسيلة دعوية معنوية؛ تتضح بها الصورة أمام المستهدفين — المدعويين — فيحصل بها معرفة الخطأ من الصواب، وإن استخدام الدعاة إلى الله المقارنة يؤثر بشكل قوي ومباشر في محبة الناس لهذا الدين؛ لأن تجلية الأمور على حقيقتها، يحجب الناس إلى الدعاة إلى الله، وقد ذكرت المقارنة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أعظمها، ما كان مثبتاً للتوحيد ومبطلاً للشرك، ومنها دعوة يوسف ﷺ لصاحبي السجن، قال الله تعالى: (يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup> فالمقارنة بين الأشياء طريقة هامة في الدراسات التطبيقية والنظرية، وتبرز أهميتها في إيضاح وجوه المقارنة حال الاتفاق وحال المخالفة، ونتائج كل منهما في الصواب والخطأ. والسنة النبوية مليئة بمثل هذه المقارنات التي توصل إلى الهدى والحق، منها ما ورد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَتْنٌ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَارِثُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ وَمَالٌ وَارِثُكَ مَا أَخَّرْتَ»<sup>(٣)</sup>. مقارنة هامة كان الحب مقياساً فيها، وتبين بها حقيقة النفع من المال بالصدقة، وهو ما قدمه الإنسان لنفسه من ماله في الصدقات قبل أن يموت ويورث، ويخرج المال عن ملكه إلى ملك غيره من الورثة؛ حيث المال المتصدق به، هو الذي يورث الأجر والمثوبة لصاحبه.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند بني هاشم ﷺ — مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٩٦ (٤/٢٩٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) سورة يوسف: ٣٩ — ٤٠.

(٣) انظر: سنن النسائي — كتاب الوصايا — باب الكراهية في تأخير الوصية، حديث رقم: ٦٤٠٦ (٦/١٤٧). وانظر: مسند الإمام أحمد — مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٢٦ (٦/١٢٩). وأصله عند البخاري في صحيحه الجامع، انظر: صحيح البخاري — كتاب الرقائق — باب ما قدم فهو له، حديث رقم: ٦٤٤٢ (٨/٩٣).

## ١١) هجر الحب لحبوه وعتابه:

إن الوصال بين الأحبة هو رمز المودة، ومع ظروف الحياة قد ينقطع وصال الوداد، ومن الحكمة فيه ألا يترك؛ حتى لا يمتد إلى زمن تصبح فيه القطيعة طبيعة، والفصل ألفة، وتنسى أيام المحبة، وقد يتغلب الفصل وتقلب المحبة إلى عداوة بسبب الجفاء؛ لذا أمر الإسلام بعدم الهجر إلا في حدود زمنية ضيقة، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)<sup>(١)</sup>. وغاية المطلب هنا أن الإصلاح القريب، والتوفيق العاجل، ضروري في كل الأحوال، بين الناس عامة، والدعاة أنفسهم، فيما يحدث من خلل أو زلل يفصل بين الأحبة، فإن جل أسبابه الشدة والغلظة، والجهل والعصية، والغضب والحمية، وسعاية أهل الشقاق والنفاق، ولا يعدم المجتمع المسلم في المقابل من وجود أهل الخير والوفاق، وأهل الإصلاح والتوفيق، فاجتمع المسلم يزهر بهم، سعاة للخير في وصل ما انقطع، وسد المنخرم، ومؤالفة القلوب، ونصرة المظلوم، وكف الجرم، وكل ذلك وسيلة في سبيل إعادة المحبة والصلة ويحصل فيها من العتاب واللوم ما يصفى القلوب من أوجاعها والنفوس من أمراضها، ولا عجب أن تكون المحبة والحرص عليها حينا سبب في القطيعة، عن عروة بن الزبير قال: «كان عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ أحبَّ البَشَرِ إلى عائشةَ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ وأبي بكرٍ، وكان أبرَّ الناسِ بها، وكانت لا تُمسك شيئاً مما جاءها من رزقِ الله تصدَّقت. فقال ابنُ الزُّبَيْرِ: ينبغي أن يُؤخَذَ على يديها، فقالت: أيؤخذُ على يدي؟ عليّ نذرٌ إن كلمته. فاستشفعَ إليها برجالٍ من قُريشٍ، وبأحوالِ رسولِ الله ﷺ خاصةً، فامتنعت. فقال له الزُّهريون أحوالُ النَّبِيِّ ﷺ - منهم عبدُ الرحمن بنُ الأسود بن عبدِ يغوثٍ والمِسُورُ بن مخرمة - إذا استأذنتَ فافتحِ الحجابَ، ففعل، فأرسلَ إليها بعَشْرٍ رقابٍ، فأعتقَهم، ثم لم تزل تُعتقُهم حتى بلغت أربعين، فقالت: ودَدْتُ أني جعلت - حينَ حَلَفْتُ - عملاً أعمله فأفرِّغَ منه»<sup>(٢)</sup>. وهذا الدرس الذي نستلهمه من موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الإنفاق والحب، إنه لدرس عظيم، يجب أن نمثله في علاقاتنا وقربتنا، ومنه نستفيد أيضا أن النذر غير محمود على إطلاقه، فإذا ألزم المسلم نفسه نذرا، فلو جعل له بابا يسهل به الخروج من قيده لكان خيرا له، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ودَدْتُ أني جعلت - حينَ حَلَفْتُ - عملاً أعمله فأفرِّغَ منه). وكما أن اللوم يحدث به الفصل، فإنه في مواقف يحدث به الوصال، ويؤكد الصواب ويصحح الخطأ، متى وقف الإنسان ببصيرة العاقل ومدافعة الهوى، موقف المتدبر الواعي، عن أسامة بن زيد قال: «دخلت مع رسولِ الله ﷺ على عبدِ الله بن أبي في مرضه نعوذه، فقال له

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، حديث رقم: ٦٠٦٥ (١٩/٨). وانظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابير، حديث رقم: ٦٦٩٠ (٨/٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب - باب مناقب قريش، حديث رقم: ٣٥٠٥ (٤/١٨٠).

النبي ﷺ: قد كنت أهلك عن حب يهود. فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زراره فمات»<sup>(١)</sup>. فإن المنافق عبد الله بن أبي حتى في مرض الموت لم يع الحق من الباطل، ولم يرض بالهدى عن الضلال، فيصر على تأكيده محبة يهود إمعانا في نفاقه، ورغم موته على النفاق، فإن ذلك قدره، وتبقى الملامة والعتاب من وسائل الدعوة المعنوية، تستخدم لتصحيح الأخطاء، ومركز تنبيه؛ كي لا تتراكم الأخطاء، وخاصة إذا كانت الأمور المخدورة بانتهائنها السلبية، وأصبحت شاهدا ودليلا قطعيا، يستخدمه الداعية لدعم نصيحته وبيانه، بل يجب تخصيص النتائج على موقفها دون العموم، فقد أكرم النبي ﷺ ولده المؤمن (عبد الله) بأن صلى على أبيه وكفنه بقميصه حتى نزلت آيات المنع من الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم. أورد ابن حجر في الفتح<sup>(٢)</sup> أن هذا المنافق قد طلب عيادة النبي ﷺ له لغاية الحماية والجاهلية لا غاية إيمان وإسلام، قال في حديث رواه الطبراني عن ابن عباس (وكان عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته، فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه، ووقعت إجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله، إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك). ومنه نعلم أن اللوم وسيلة دعوية معنوية عمل بها النبي ﷺ، ليدرك المسلم الخطأ ويعود إلى الصواب، قبل أن يفوت الفوت بالموت، ويحل العقاب بسوء الختام.

## ١٢) الإخبار بالمحبة لمن يجب:

الحب كلمة عظيمة، وضعت في لغة الناس لتدل على معاني الصلة النفسية من الخيرية والصفاء بين المتحابين، وعلى دلالات الإيثار القوية من التضحية والفداء، وهي صفة اجتماعية كبيرة الأثر، وأكمل ما تكون في المجتمع المسلم، قامت عليها قواعد الدين ومبادئ الشريعة، وأصلها في ذلك أن قامت في الله ومنه وإليه، فهي بشارة للحبيب والحبوب إذا اجتمعا على هذا الأصل، وهما من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ مَلَّاقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)<sup>(٣)</sup>. وهذه الوسيلة الدعوية بشارة الدعاة إلى الناس بنشر الحب بينهم، ومن خصوصية الدعاة في البلاغ أنهم يحبون للناس الهدى والخير والصلاح، فواجب على الناس محبتهم بذلك، ومن السنة إخبار المحب لمن يحبه بذلك، عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سالم الجيشاني أتى إلى أبي أمية في منزله، فقال: عن أبي ذر ؓ، يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أسامة بن زيد، حديث رقم: ٢١٧٥٨ (٩١/٣٦). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٨، ص: ٣٣٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم: ٦٦٠ (١٣٣/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ٢٤٢٧ (٩٣/٣) ..

يقول: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأتته في منزله فليخبره أنه يحبه لله، وقد جئتكم في منزلك»<sup>(١)</sup>. قال النووي يرحمه الله نقلاً عن القاضي عياض: ( وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مِنْ ثَمَرَاتِ حُبِّ اللَّهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ مُوَاطَاةُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرْضِي الرَّبَّ سُبْحَانَهُ؛ فَيُحِبُّ مَا أَحَبَّ، وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ )<sup>(٢)</sup> ومحبة الدعاة بعضهم لبعض يقوي أمر الدعوة ويظهرها، على مستوى المجتمع أو على مستوى النظام والقرار، وكذلك محبة المسلم لأخيه المسلم في جيرته أو عمله أو سوقه يقوى بها المجتمع المسلم؛ فمن السنة أن يأتيه ويخبره بهذه المحبة، وعلى الخبوع الرد دعاءً بالخير وبمحبة الله له، فيقول: أحبك الله الذي أحببني له أو فيه، عن أنس رضي الله عنه قال: ( مر بالنبي ﷺ رجل، فقال رجل: إني لأحبه في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: أعلمته؟ قال: لا قال: فأعلمه، قال: فلقيت الرجل فأعلمته، فقال: أحبك الله الذي أحببني له )<sup>(٣)</sup>.

### ١٣) المواساة والدعاء:

الداعية إلى الله أحد أفراد المجتمع يتميز عن غيره بعلمه ودعوته، وبذل وقته في النصيحة للناس، ومن واجباته الاجتماعية، أن يكون في قرب من أحوال الناس، وخاصة الجيران والأقارب، وأهل الحل والعقد، والحاجة والمسكنة والفقر، فإن هذا القرب يجعله في تواصل مع الأحداث التي يمرون بها فيؤدي واجبه معهم، فرحاً وترحاً، ففي الأحران والضيق يقل الرفيق المساعد، خلاف الأفراح فالكل يشارك ويبارك، ولا شك أن المواساة واجب شرعي ووسيلة دعوية معنوية، ومورثة للمحبة، عندما يقف الداعية إلى الله موقف المواساة الفعلية والقولية، بما يستطيع من بذل لأهل الضيق والخرج، وعندما يرافقها الدعاء وعبارات الصبر والتصبر، والحمد والشكر، والحث على ما يزيد الإيمان من الصلاة والصدقة، يكون وقعها أكثر وأثرها أعظم، فعندما اشتد الأسى والحزن على يعقوب عليه السلام من فقد ولديه يوسف وبنيامين، ذكر بأن هذا من المهلكات وعليه الصبر، قال الله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَآتَيْتُ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ<sup>(٤)</sup> قال الله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)<sup>(٥)</sup> قال البغوي في تفسيره: {قَالُوا} يعني: أولاد يعقوب، {تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يَوْسُفَ} أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتر من حبه، و " لا " محذوفة من قوله {تَفْتُنَا} يقال: ما فتى يفعل كذا، أي: ما زال، كقول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ الله أبرحُ قائماً \*\*\* ولو قطعوا رأسي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر الغفاري، حديث رقم: ٢١٢٩٤ (٢٢٠/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ١٢٢.

(٣) انظر: مستدرک الحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٢١ (١٧١/٤). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و شاهده حديث المقدم بن معدي كرب. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٤) سورة يوسف: ٨٤ - ٨٥.

(٥) سورة يوسف: ٨٦.

أي: لا أبرح. {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} قال ابن عباس: دفنا، وقال مجاهد: الحرَض ما دون الموت، يعني: قريبا من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسدا لا عقل لك. والحرَض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائبا من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون ذَنَفَ الجسم مخبول العقل. وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن والمهرم، أو العشق، يقال: رجل حَرَضَ وامرأة حَرَضَ، ورجلان وامرأتان حَرَضَ، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع الاسم. {أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} أي: من الميتين<sup>(١)</sup> إن من المصائب العظام على المرء، أن يفقد والده أو ولده، والمؤاساة لأهل المصائب من واجب الدعاة من باب الأخوة الإسلامية أولا، وثانيا من باب واجب الدعوة وكسب المدعوين، ومن جميلها الحث على الصبر والدعاء، عن علي عليه السلام قال: «لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: إن عمك الشيخ الضال قد مات، فقال: انطلق فواره ولا تحدث شيئا حتى تأتيني، قال: فانطلقت فواريته فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات، ما أحب أن لي بمن ما عرض من شيء»<sup>(٢)</sup>.

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٤، ص: ٢٦٨.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، حديث رقم: ١٠٩٣ (٣٣٢/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وصححه الألباني، قال: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ناجية بن كعب وهو ثقة كما في "التقريب"، وقد قواه الرافعي وتبعه الحافظ في "التلخيص" كما بينته في "إرواء الغليل" (٧٠٧).

## المطلب الثاني: أثر المحبة في الوسائل المادية

إن تنوع الوسائل وتطورها، ذو علاقة كبيرة بالفكر، وإيصال المعلومات، وتثبيت الحقائق والتثبت منها، وإزالة الغموض، وتصحيح الأفكار، وفي ميدان الدعوة إلى الله، تتجلى أهمية الوسائل الدعوية المادية، ضمن أساليب الدعوة المتعددة، التي يبلغ بها دين الله للناس، ولا يمكن حصر هذه الوسائل ضمن مجموعة محددة، يتناولها الدعاة في كل حين من دعوتهم؛ ولكن هناك وسائل مادية فطرية ملازمة للداعية وهي خلقية في بدنه، بما وهبه من قدرات في النطق والحركة والسمع والبصر، تتبعها وسائل متغيرة بتغير الزمان، وطبيعة الاستجابة للمؤثرات، كالخلق والعلم والعمر، تتضح في شخصية الداعية كقدوة - في أفعاله وأقواله - ووسائل مادية مستقلة متطورة، كتطور وسائل الإعلام والاتصال وغيرها في العصر الحاضر، فهي متجددة متطورة، ومرتبطة بزمن الدعوة ومكانها، حسب القدرات والإمكانات. ولا تتميز الوسائل الدعوية المادية، باستقلال أو انفصال عن الوسائل المعنوية، بل الدمج الحاصل بينهما يجعلهما وحدة متكاملة، وبهما يكونا وسيلة جاذبة ومحبة للنفوس المستقبلية، ولعل أبرز ما يميز بينهما عدة أمور تظهر على الغالب فيما يلي:

١) الحيز الذي تشغله الوسيلة المادية، ويمكن أن توصف به من حجم ومقاس ولون، ومن أمثلة ذلك: المساجد والمباني، والكتب والمكتبات والمدارس والجامعات والوسائل التعليمية، ومراكز البحوث والدراسات والهيئات والدوائر المتخصصة، وغيرها.

٢) التأثير الفعلي والمعنوي لها، حسب طريقة استخدامها، سواء بالصوت أو الصورة أو البث أو اللمس أو الإحساس، ومن أمثلة ذلك: أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، والأقمار الصناعية، وأجهزة الحاسب الآلي وغيرها.

٣) إمكانية التجديد والتطوير والإعادة والاستخدام المتعدد الأغراض، ومن أمثلة ذلك: وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي والقنوات الفضائية ودوائر المعارف العلمية والرسائل البريدية.

ولا تعد الوسيلة المادية والمعنوية دعوية إلا حين ارتباطها بتبليغ دين الله الحق للعالمين، فتكون قناة موصلة لهذه الغاية العظمى، ومع ما سبق من الميزات، إلا أن غالب هذه الوسائل ووسائل عامة، فلا يوجد وسيلة دعوية متخصصة في الشكل والهيئة إلا ما كان من بيوت الله والمصاحف القرآنية؛ أما ما عداها فلا تخصص بالدعوة إلا حين الاستخدام في أمر الدعوة، فقد ركب موسى عليه السلام وفتاه سفينة في رحلة علمية، وركب موسى عليه السلام والخضر سفينة لمساكين يعملون في البحر في رحلة علمية دعوية، ورغم أن السفينة وسيلة نقل عامة، لكنها أصبحت وسيلة ذاتية مميزة؛ لإيصال حقيقة علمية إنسانية، وحل لمشكلة خاصة؛ حين قام الخضر بخرقها، مقدما مفسدة جزء من السفينة يمكن إصلاحه، على مفسدة سلب السفينة بكاملها من قبل الملك الظالم واغتصابه لها من أصحابها. وهكذا فإن الوسائل العامة، تصبح وسائل دعوية حين ارتباطها وتخصيصها ببيان أمر دعوى في موضوعات الدعوة ومجالاتها.

وهنا سوف أعرض بعض الوسائل الدعوية المادية التي استخدمت في صدر الدعوة الإسلامية وجاءت مرتبطة بلفظ الحب في الكتاب والسنة وفق ما يلي:

#### (١) المنبر:

المنبر في اللغة من (نبر) وفي معجم مقاييس اللغة عند ابن فارس ( النون والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفَعٍ وَعُلُوٍّ. وَنَبْرُ الغلام: صاح أول ما يترعرع. ورجلٌ نَبْرٌ: فصيحٌ جهير. وسُمِّيَ المنبرُ لَأَنَّهُ مرتفع ويُرفَعُ الصَّوتُ عليه )<sup>(١)</sup> وورد في الصحاح للجوهري ( نَبَرْتُ الشيءَ أَنْبَرُهُ نَبْرًا: رفعتَه. ومنه سُمِّيَ المنبرُ )<sup>(٢)</sup> فالمنبر يدل على العلو والارتفاع، المكان المرتفع أبلغ في إيصال الصوت وأبلغ في رؤية الناس للمبلغ ، ومن علو جبل الصفا صدع النبي ﷺ جهرا بالدعوة بعد السنة الثالثة من البعثة في مكة ، وعندما ابتنى مسجده ﷺ في المدينة بعد الهجرة خطب ووعظ على جذع نخلة، ومن ثم اتخذ منبرا يخطب عليه، فخرج من الجذع صوت حنين، محبة وجزعا لفراق النبي ﷺ له، وتظهر معجزة نبي الرحمة ﷺ في ظهور صوت الجمادات، ورحمته لها، حيث نزل وأسكته، ففي رواية عند الترمذي، أنه ضمه ومسح عليه بيده فسكت، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ جَذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجَذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ)<sup>(٣)</sup>.

فالمنبر وسيلة دعوية مادية، من بناء أو خشب أو صخر، الغاية منه البلاغ في حال علو وارتفاع، وأصبح المنبر في المسجد الجامع ركيزة وعلامة بارزة ، تحصل به الرؤية ومساعد في إيصال الصوت. فهو وسيلة محبة للدعاة إلى الله تعالى، اقتداء بسنة النبي ﷺ، وتبلغ من عليه رسالة الدعوة من خلاله واضحة الغرض، وهي أن تدعو إلى دين الله بياناً للحق، وتبصيرا للناس بأمر دينهم وما فيه صلاح دنياهم، والبعد عن استعماله فيما يثير الفتنة، وما يبعث الشقاق ، أو يحقق المصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة، أو يخص الذاتية بما يعزز الأنانية ، ولقد اتخذ النبي ﷺ من أعواد الطرفاء، عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ لَهَا غُلَامٌ نَجَّارٌ قَالَ لَهَا مُرِّي عَبْدَكَ فَلْيَعْمَلْ لَنَا أَعْوَادَ الْمِنْبَرِ فَأَمَرَتْ عَبْدَهَا فَذَهَبَ فَقَطَعَ مِنَ الطَّرْفَاءِ فَصَنَعَ لَهُ مَنْبَرًا فَلَمَّا قَضَاهُ أَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ قَضَاهُ قَالَ ﷺ أَرْسَلِي بِهِ إِلَيَّ فَجَاؤُوا بِهِ فَاحْتَمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ حَيْثُ تَرَوْنَ<sup>(٤)</sup>. ومن واجب الدعاة إلى الله أن يصونوا هذه

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥. ص: ٣٨٠.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة ، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٢ ، ص: ١٨٩.

(٣) انظر : صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب الخطبة على المنبر ، حديث رقم : ٩١٨ (٩/٢).

(٤) انظر : صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب من استوهب من أصحابه شيئا، حديث رقم: ٢٥٦٩ (٣/١٥٤).

الوسيلة من بدع البناء والإحداث، وأن يبلغوا من خلاله الدين الحق، ويحفظوا مكانته من نشر المواعظ الكاذبة والخطب الخادعة، وأن يحرصوا على لزوم السنة في المواعظ والخطب كلاماً وبياناً، وأسلوباً ومنهجاً.

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ : إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا سَأَلْتُكَ تُكَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَلَا يُكَلِّمُكَ! فَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَ - فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْضَاءُ - فَقَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمْدُهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ يَقْتُلُ ، أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا؛ اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلْطَلَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالِ خَضِرَةٌ خُلُوءٌ ، فَنَعَمْ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بَغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَيَكُونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

## (٢) مواد البيئة النباتية والحيوانية:

إن من الوسائل الدعوية المادية استخدام الداعية إلى الله لمكونات البيئة من النبات، والحيوان والجمادات وغيرها؛ لإيصال المعنى المراد إيصاله للناس، وهذا الاستخدام يختلف باختلاف المعاني، ومدى استيعاب الوسائل لها، ومدى قدرة الناس على الفهم المقصود من هذه الوسيلة، ولعلمنا أن كل الموجودات من المخلوقات تحمل دلائل على توحيد الخالق، وتدلل على معنى في الحياة بما تتسم به من خصائص، فمن لوازم الدعوة أن يكون الداعية خبيراً في الحياة وما فيها من مخلوقات وتجارب؛ ليستدل بها على معاني الخير ويحذر بها من الشر، قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ<sup>١</sup> مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى<sup>٢</sup> وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ<sup>٣</sup>) وقال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ<sup>٤</sup> فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ<sup>٥</sup>)<sup>(٣)</sup> عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِّنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ! ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كَسْرَةً ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَسَا ، أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسَسَا<sup>(٤)</sup> فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم مكونات البيئة في بيان مواطن الحب والكراهة في مواضع اجتماعية وشرعية، تبين حقيقة الضعف بالمعصية، وحقيقة هوان الدنيا على الله، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريب من ثمانين رجلاً من قریش، ليس فيهم إلا قرشي، لا والله ما رأيت صفيحة وجوه رجال قط، أحسن من وجوههم يومئذ، فذكروا النساء فتحدثوا فيهن، فتحدث معهم حتى أحببت أن يسكت، قال: ثم أتيتته، فتشهد ثم قال: أما بعد، يا معشر قریش، فإنكم أهل هذا الأمر ما لم

(١) انظر : صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الصدقة على اليتامي، حديث رقم : ١٤٦٥ (١٢١/٢) .

(٢) سورة الروم: ٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، حديث رقم : ٢١٦ (٥٣/١) .



تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحكم كما يلحي هذا القضيب، - لقضيب في يده - ثم لحا قضيبه فإذا هو أبيض يصلد»<sup>(١)</sup>. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفِيهِ. فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ<sup>(٢)</sup> مَيِّت. فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكَ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(٣)</sup>. والجمع بين الوسائل المادية في الدعوة إلى الله ومقاصد الشريعة مطلب دعوي، دعا إليه القرآن في آياته، قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة: (ومن آياته سبحانه خلق الحيوان على اختلاف صفاته وأجناسه وأشكاله، ومنافعه وألوانه وعجائبه المودعة فيه، فمنه الماشي على بطنه ومنه الماشي على رجليه ومنه الماشي على أربع، ومنه ما جعل سلاحه في رجليه وهو ذو المخالب، ومنه ما جعل سلاحه المناقير كالنسر والرخم والغراب، ومنه ما سلاحه الأسنان، ومنه ما سلاحه الصياصي وهي القرون يدافع بها عن نفسه من يروم أخذه، ومنه ما أعطى منها قوة يدفع بها عن نفسه لم يحتج إلى سلاح كالأسد فإن سلاحه قوته، ومنه ما سلاحه في ذرقه وهو نوع من الطير إذا دنا منه من يريد أخذه ذرق عليه فأهلكه، ونحن نذكر هنا فصولا منتشرة من هذا الباب مختصرة، وإن تضمنت بعض التكرار، وترك الترتيب في هذا المقام الذي هو من أهم فصول الكتاب، بل هو لب هذا القسم الأول، ولهذا يكرر في القرآن ذكر آياته، ويعيدها ويبيدها ويأمر عباده بالنظر فيها مرة بعد أخرى، فهو من أجل مقاصد القرآن، قال الله تعالى: (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> فَإِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي نَفْسِهِ وَمَا حَوْلَهُ، يَجِدُ الْقُدْرَةَ الْعَظِيمَةَ فِي التَّسْدِيرِ وَالْخَلْقِ، مِنَ الْجَسَدِ فِي أَجْزَائِهِ وَوُضَائِفِهَا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ وَالْكَوَاكِبِ، وَالْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ، وَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَالْأَشْجَارِ وَالثَّمَرِ، وَالرِّيَّاحِ وَالْجِبَالِ وَالسِّفْنِ، وَالِدَوَابِّ وَالْأَقْوَاطِ، وَالْأَدْوَاءِ وَالِدَوَاءِ، وَالصُّوْتِ وَالضُّوْءِ، فِي كَوْنِ لَا تَنْقُطُ الدُّرُوسُ وَالْفَوَائِدُ وَالِدَّلَائِلُ مِنْهُ، إِلَّا بِكَلِمَةِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تَجِبُ الْعِبَادَةُ الْحَقَّةُ لَهُ سُبْحَانَهُ دُونَ سِوَاهُ. وَمِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ يَسْتَطِيعُ الدَّاعِيَةُ تَوْظِيفَ مَكُونَاتِ الْحَيَاةِ الْمَادِيَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ جَاعِلًا مَنْظَارَ الشَّرْعِ بِأَدْلَتِهِ التَّفْصِيلِيَّةِ، أَمَامَ كُلِّ وَسِيلَةٍ يَسْتَخْدِمُهَا.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٣٨٩ (٣٨٨/٧). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وصححه الألباني، قال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥ / ١٩٢): "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في "الأوسط" ورجال أحمد رجال الصحيح، ورجال أبي يعلى ثقات".

(٢) أسك: من (سكك) السكك الصمم وقيل السكك صغر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها. انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٣٩/١٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - حديث رقم: ٧٦٠٧ (٢١٠/٨).

(٤) سورة يونس: ١٠١.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص: ٢٤٨.

### ٣) التطبيق العملي:

يحتاج الداعية إلى الله، إلى المهارة الحركية، في تنفيذ بعض الدروس العلمية أو العرض المرئي أمام المدعويين؛ كي يوصل إليهم غاية دعوية في أمر الدين أو الدنيا، وهنا يجب على الداعية أن يحرص على الإعداد العلمي والعملي الجيد؛ لما يريد أن يقوله أو يفعله، ويكون في دربة عليه لثلاثة أمور: إيصال الأمر على حقيقته إلى المدعويين، والآخر ألا يقع في حرج بارتكاب خطأ حركي أو قولي يفقد الثقة فيه، والآخر أن وسائل العرض المادية في تطور مستمر، وتحتاج إلى خبرة في الاستخدام والصيانة ليستطيع الأداء التنفيذي بجودة، وإصلاح ما يمكن أن يحدث من خلل طارئ، ولقد أصل النبي ﷺ هذه الوسيلة المادية الهامة في حياة المسلمين في أمر الدين والدنيا بالاقتداء به، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ<sup>(١)</sup> عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا، أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن التطبيق العملي في أمر التعليم أثبت للعلم بالشيء من التعليم القولي أو النظري، وهكذا عمل به الصحابة رضي الله عنهم وأحبوه على غيره عن أبي حية، قَالَ: «رَأَيْتُ عَلِيًّا تَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَيْهِ حَتَّى أَقْنَاهُمَا، ثُمَّ مَضَمَضَ ثَلَاثًا، وَاسْتَنْشَقَ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَذَرَأَعِيهِ ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرَّةً ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَأَخَذَ فَضْلَ طَهُورِهِ فَشَرِبَهُ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَحَبِّتُ أَنْ أُرِيَكُمْ كَيْفَ كَانَ طَهُورُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>. وهذه الوسيلة - التطبيق العملي - لها أثر في محبة الناس لما تعلموه وإتقانهم إياه، وبالتجربة فهي محبة إلى المتعلمين من التعليم النظري؛ لأنها تقضي على الملل والسآمة، ويمضي الوقت بها سريعاً على النفس، وقد اكتسب المرء علماً ومهارة عملية يستفيد منها، وتكون أبقي معه عن غيرها من العلوم.

### ٤) المال ومقوماته:

إن الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم يحبون المال؛ فإن محبة المال فطرت عليها نفوسهم، ولا غنى لحياتهم عن اكتسابه، باختلاف أصنافه ومصادره وموارده المشروعة، ولا بد أن يدرك الدعاة إلى الله هذه القيمة في

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة، حديث رقم: ٦٣٢ (١/٢٩٩).

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في وضوء النبي ﷺ كيف كان، حديث رقم: ٤٨ (١/٦٧). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة. مسند على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ١٠٤٦ (٢/٣٠٩). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

نفوس الناس؛ ليصلوا إلى محبتهم من خلالها، ويبدلوا من العطاء، ما يؤلف قلوب الناس ويحببهم لدين الله عز وجل، وهذه الوسيلة قد ثبت استخدام النبي ﷺ لها، ومن ضوابط الفهم في استخدامها أن البذل من المال العام يكون مخصوصا بولي الأمر، أما المال الخاص فهو لصاحبه في البذل والعطاء، يرجع الأمر فيه له، إذا توافق مع قيامه العادل عليه وعلى من تجب عليه نفقته من أهله، ومن شواهد استخدام النبي لها، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَاتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا. فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا. فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.<sup>(١)</sup> وأيضاً، عن صفوان بن أمية رضي الله عنه، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى صار وإنه أحب الناس إليّ<sup>(٢)</sup>. وللدعاة إلى الله أن يدركوا خطورة المال، كما أدركوا فوائده؛ وليس كل مدعو يعطى منه، بل تقدر الشخصيات والأحوال الخاصة والعامة فيه، وتوزن بميزان المصلحة والمفسدة، وأورد المناوي في بيان خطورة الشح الحذر منه في السنة، قال: ( فإن الشح) بثلاث الشين (أهلك من كان قبلكم) من الأمم (وحملهم على أن سفكوا دماءهم) أي أسالوها بالقوة الغضبية بخلا بالمال، وحرصا على الاستئثار به (واستحلوا محارمهم) أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها<sup>(٣)</sup> وميزان المفسدة والمصلحة قائم على معرفة المؤثرات الأخلاقية في قيمة المال: من الإسراف والبخل والاحتكار والاستكثار، والاستمتاع، ومن أن العطاء المخل قد يضر المصلحة العامة، وقد يفسد شخصية المدعو ولا يصلحها، حيث من مقتضياته المنحرفة الاستكبار والغرور، قال الله تعالى: ( وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ )<sup>(٤)</sup> قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٥)</sup> وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَتِ ءَامِنُونَ<sup>(٦)</sup> قال الإمام ابن كثير في تفسيره: ( وقوله تعالى إخبارا عن المترفين المكذبين: ( وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ) أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: (أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَبِّهُ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(٧)</sup> )<sup>(٨)</sup> )<sup>(٩)</sup> وحقيقة المال كما بينها الله تعالى في الآيات، أن الله يرزق

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال وكثرة عطائه، حديث رقم: ٦١٦١ (٧/٧٤) ..

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند المكيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٣٠٤ (١٧/٢٤). وانظر: سنن الترمذي - كتاب الزكاة باب ما جاء في إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث رقم: ٦٦٦ (٥٣/٣). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، ج ١، ص: ١٧٥ .

(٤) سورة سبأ: ٣٥ - ٣٧ .

(٥) سورة المؤمنون: ٥٥ - ٥٦ .

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٥٢١ .

من يشاء ويوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وكل ذلك ابتلاء منه، و بحكمته وعدله وفضله، وأن المال ينفع صاحبه مع الإيمان والعمل الصالح .

## ٥) الهدية:

إن الأثر النفسي للهدية على المهدي إليه قوي وذو دلالة محددة، وبقدر ما تكون عليه قيمة الهدية المادية في الثمن أو الشكل، إلا أنها تعبر عن اخبة بين المهدي والمهدي إليه أو تحمل دعوى التقارب لا التنافر، وقد ذكرت الهدية في القرآن الكريم في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، قال الله تعالى: ( قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (١) ذكر ابن كثير في تفسيره: ( قال قتادة: رحما الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس. وقال ابن عباس وغير واحد: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه ) (٢) ومن خصائص النبي ﷺ أنه كان يأكل من الهدية ولا يأكل من الصدقة، وكان من سنته أنه أهدى وأهدي إليه، وحث عليها، وتبقى الهدية في الإسلام أنها من شعار اخبة بين المسلمين، أورد البخاري في الأدب المفرد: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ يقول: ( تَهَادُّوا تَحَابُّوا ) (٣). وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة من جزع، فقال: «لَأَدْفَعَنَّهَا إِلَى أَحَبِّ أَهْلِي إِلَيَّ» فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة. فدعا النبي ﷺ أمانة بنت زينب فعلقها في عنقها (٤). وللهدية ضوابطها الشرعية كغيرها من الوسائل، سواء في مادة الهدية ونوعها، أو موضع استخدامها، أو من أهدت إليه، ونقل ابن حجر في الفتح عموم الحكم في الهدية بقوله: ( جَمَعَ الطَّبْرِيُّ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ بِأَنَّ الْأَمْتِنَاعَ فِيمَا أُهْدِيَ لَهُ خَاصَّةً، وَالْقَبُولَ فِيمَا أُهْدِيَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لَأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَدْلَةِ الْجَوَازِ مَا وَقَعَتِ الْهَدِيَّةُ فِيهِ لَهُ ﷺ خَاصَّةً. وَجَمَعَ غَيْرُهُ بِأَنَّ الْأَمْتِنَاعَ فِي حَقِّ مَنْ يُرِيدُ بِهَدِيَّتِهِ التَّوَدُّدَ وَالْمُؤَالَاةَ وَالْقَبُولَ فِي حَقِّ مَنْ يُرْجَى بِذَلِكَ تَأْنِيْسُهُ وَتَأْلِيْفُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَهَذَا أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ يُحْمَلُ الْقَبُولُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَوْتَانِ، وَقِيلَ يَمْتَنَعُ ذَلِكَ لغيره من الأمراء وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى نَسْخَ الْمَنَعِ بِأَحَادِيثِ الْقَبُولِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَكَسَ، وَهَذِهِ الْأَجَوِبَةُ الثَّلَاثَةُ ضَعِيفَةٌ، فَالْنَسْخُ لَا يَثْبُتُ بِالْإِحْتِمَالِ وَلَا

(١) سورة النمل ٣٤ - ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ١٩٠.

(٣) انظر: الأدب المفرد للبخاري - كتاب المريض - باب قبول الهدية، حديث رقم: ٥٩٤ (٢٠٨/١). وانظر: السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الهبات - باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس، حديث رقم: ١١٧٢٦ (/). حسنه الألباني .

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٧٠٤ (٢٣٢/٤١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

التَّخْصِصِ)<sup>(١)</sup> والقول الراجح من أقوال العلماء حين تتبع الأدلة، أن الأصل هو عدم جواز قبول هدايا المشركين، لكن إذا كانت في قبول هداياهم مصلحة عامة أو خاصة؛ فيجوز قبولها، والله أعلم، والأصل في عدم قبول هدية المشركين، يدل عليه ما علم من موقف حكيم بن حزام قبل إسلامه ورد النبي ﷺ لهديته، فإن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ( كان محمد ﷺ أحب رجل في الناس إليّ في الجاهلية فلما تنبأ وخرج إلى المدينة شهد حكيم بن حزام الموسم وهو كافر، فوجد حلة لذي يزن تباع فاشتراها بخمسين ديناراً ليهديها لرسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة فأرادته على قبضها هدية فأبى قال عبيد الله: حسبته أنه قال: « إِنَّا لَا نَقْبَلُ شَيْئاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْنَاهَا بِالْثَمَنِ » فأعطيته حين أبى عليّ الهدية<sup>(٢)</sup> . والدعاة إلى الله في ميدان الدعوة، يحدث الإهداء منهم وإليهم، فيجب أن تكون البصيرة هي الغالبة، والإحاطة الشرعية بمقاصد الهدية ونوعها واستخدامها هي النافذة، فإن الرشوة التي حرمها الشارع من صورها الهدية المحرمة، التي تكون لمنع حق أو إنفاذ باطل، وقد تكون من خلال مواقع الدعاة الاجتماعية أو العملية، لما لهم من الشهرة والمكانة النافذة في قلوب الناس والمجتمع. ولا بد أن يقدم الداعية حسن الظن حين قبوله الهدية وأن القصد هو المحبة من المهدي، ويجعل الأصل البراءة في كل مسلم، ما لم تظهر له القرائن الصادقة التي تصرفه عن الأصل إلى غيره.

## ٦) الفروسية والرمي:

منذ القدم والإنسان عبر التاريخ البشري يعمل على شيئين لضمان البقاء والعيش السوي، وهما وسائل الكسب الغذائي، ووسائل الحماية الأمنية، ومن أجل الأخيرة أخذ يقوم بالدربة على وسائل القتال والدفاع، وإعداد القوة بكل ما تيسر له في كل عصر، حتى جاء عهد الرسالة الخاتمة، وكان من واقع عهدها في الحماية، الفروسية والرمي، فقد أثنى الإسلام في نصوص كثيرة على إعداد القوة، والحث على وسائلها، لما لها من أهمية في نشر الدعوة بالجهاد في سبيل الله وحمايتها من أعدائها، ومن هذه النصوص عن خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنت مع عقبة بن عامر الجهني وكان رجلاً يحب الرمي، إذا خرج خرج بي معه، فدعاني يوماً فأبطأت عليه، فقال: تعال أقول لك ما قال لي رسول الله ﷺ وما حدثني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب في صنعه الخير والرامي به ومنبله، وقال: ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها»<sup>(٣)</sup>. قال ابن حجر في الفتح: (وفيه: ومن ترك

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ٢٣١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين رضي الله عنهم - مسند حكيم بن حزام، حديث رقم: ١٥٣٢٣ (٣٩/٢٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الرمي، حديث رقم: ٢٥١٥ (٣٢٠/٢). و انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم - حديث عقبة بن عامر، حديث رقم: ١٧٣٣٥ (٥٧٢/٢٨). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن بطرقه وشواهده.

الرمي بعد علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها، ولمسلم من وجه آخر عن عقبة رفعه، من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصي، ورواه بن ماجة بلفظ فقد عصاني، قال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي، وأن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب، لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة؛ لأنه قد يرمي رأس الكتبية فيصاب فينهزم من خلفه<sup>(١)</sup> فإن قوة المؤمن بكل ما تعنيه القوة من معنى، وعزته في دينه بكل ما يرفعه، فالقوة والعزة مطلب شرعي، فمن وسائل الدعوة اكتساب الدعاة للقوة وحث الناس عليها، واليوم اختلفت مظاهر القوة عما سبق في الشكل والوسيلة ولم تختلف في الغاية، فمن وسائل الدفاع عن الإسلام يحتاج المسلم إلى تعلم فنون القتال بالوسائل الحديثة من السفن والطائرات، والصواريخ، وعلوم الطبيعة والفضاء، وتعلم وسائل تقنية المعلومات ونقلها، ففي العصر الحاضر، أصبح الدفاع العقلي والفكري لا يقل أهمية عن الدفاع القتالي.

#### ٧) البيان الإجرائي بالوسائل الملائمة:

التوجيه والإرشاد للناس يقتضيان البيان الإجرائي قولاً وعملاً، باستخدام الوسائل الملائمة للموقف الذي يتم البيان من أجله، وهو جزء من التطبيق العملي، عَنْ عَبْدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ أَتَيْنَا جَابِرًا - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ، فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَظَرَ فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُحَامَةً، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَحَتَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ قَالَ «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ؟» ثُمَّ قَالَ «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ فَلَا يَصُفُّ قَبْلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَيُزِقَ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِتَوْبِهِ هَكَذَا». وَوَضَعَهُ عَلَى فِيهِ ثُمَّ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ «أَرُونِي غَيْرًا». فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخُلُقٍ فِي رَاحَتِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّحَامَةِ. قَالَ جَابِرٌ فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخُلُقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ<sup>(٢)</sup>. ومن هذا الموقف الكريم يتبين لنا أن النبي ﷺ قام بالبيان الإجرائي فحك النخامة بالعرجون، ولم يكلف أحداً بذلك، وفيه استشارة بأهمية الأمر، وأدب الصحابة مع النبي ﷺ حيث هم وقافون عند أمره ونهيهِ، ولا يتكلفوا أمراً في حضرته إلا بأمره؛ وبعد هذا الإجراء أوضح ﷺ للناس بالقول التفصيلي ليفهم الناس الغاية من الفعل، وثنى بالعلاج الإجرائي مستخدماً من الوسائل يده ﷺ وتوبه والعرجون والطيب، ومن وجد حوله في جلب الطيب، وبكل وسيلة نافعة يتم تعليم الأحكام والآداب، وفي رواية أبي داود، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الْعَرَّاجِينَ وَلَا يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى نُحَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَكَّهَا... الحديث<sup>(٣)</sup>» ومنه يفقه، محبته ﷺ للعرجين واستخدامه لما يحب من الوسائل المادية كالعرجين، فيما يصلح النفع بها، ورمزية حمل العرجون، واستخدامه يحمل

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٩١.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب في كراهية البزاق في المسجد، حديث رقم: ٤٨٥ (١٨١/١) صححه الألباني .

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دُفِنَتْهَا، حديث رقم: ٤٨٠ (١٧٩/١). حسنه الألباني .

من المعنى ما يدل على جواز حمل واستخدام الوسائل الإجرائية المناسبة في حياتنا التعليمية، قال بدر الدين العيني في شرح سنن أبي داود: ( ويُستفاد من الحديث فوائد؛ الأولى: إذا رأى أحد نخامة في المسجد، يَحْتَهَا. والثانية: أن المصلي لا يَصُقُّ قبل القبلة ولا عن يمينه؛ بل يَصُقُّ تحت رجله اليسرى، كما فسر في الحديث. والثالثة: أن البصاق لا يفسد الصلاة. والرابعة: جواز استعمال الخلق في المساجد. والخامسة: جواز حمل العصا<sup>(١)</sup> ومن هذا الموقف نستببط عظمة المكان من عظمة الفعل، حيث استخدام الطيب المحب إلى النفس، في موضع محب إلى نفس المسلم وهو المسجد؛ تعظيماً ومحبة لشعائر الله، وقيامه بالعمل بنفسه ﷺ وهو المحبوب من المؤمنين، في إزالة النخامة وتطيب مكانها بالخلق، فقد أعطى أعظم الأثر في سلوك المسلم لمبدأ الطهارة في المسجد وحفظ كرامة الصلاة والقبلة مما يؤدي. وقد أكد الدين على الطهارة في القلب والثوب والبدن كما هو معلوم من الدين بالضرورة لقول الله تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ)<sup>(٢)</sup> وقول الله تعالى: (وَيُتَابَكُ فَطَهَّرْ)<sup>(٣)</sup>. قال القرطبي: ( فيه ثمانية أقوال: أحدهما: أن المراد بالثياب العمل. الثاني: القلب. الثالث: النفس. الرابع: الجسم. الخامس: الأهل. السادس: الخلق. السابع: الدين. الثامن: الثياب الملبوسات على الظاهر)<sup>(٤)</sup> وفي زماننا تطورت الصناعات ومنها أدوات النظافة؛ فاستخدم المسلم المناديل الخاصة والمطويات ذوات الروائح الطيبة، والمنظفات ذوات القوة في إزالة الخبائث والنجاسات، وأكرم المسجد بحسن بنائه وحمايته من الهوام والدواب ووضع فيه ما يعين المسلم على العبادة من كتب العلم وحسن الفرش والإضاءة والتهوية وغيرها. وهذه الوسائل المادية يجب على الدعاة أن يحثوا الناس على الاهتمام بها، من أجل تكريم شعيرة الصلاة وما يتعلق بها من صيانة حرمة بيوت الله.

## ٨) الإشارة باليد:

الإشارة باليد ذات قوة في الدلالة للأمر المقول قبولاً أو رفضاً، ويستطيع المتحدث أن يؤكد كلامه بإشاراته رفعاً وخفضاً، وقبضاً ومداً، وحصرًا وعداً، وقد يحمل بها عدة معانٍ من العطاء والمنع، والذنو والبعد، والعطف والصرف، وكلما كانت الإشارات مناسبة للكلمات كانت أقوى في التأثير، ورغم أهمية الإشارة في تبليغ الدعوة إلى الناس، فهي صفة يجب أن تكون في ميزان الاعتدال أثناء الاستخدام؛ فإن كثرة الإشارة تفقد شخصية الداعية القبول؛ لاتصافه بالخفة وعدم الثبات، وكذلك فإن عدم استخدامها يمثل الجمود للمعاني، ويفقد الكلمات عملية الجذب وبيان القصد الكامل. وقد استخدم النبي ﷺ الإشارة باليد في مواقف كثيرة، منها عَنْ وَابِصَةَ بِنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٣٩٦.

(٢) سورة التوبة: ١٠٨.

(٣) سورة المدثر: ٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ، ج ١٩، ص: ٦٢.

قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَإِذَا عِنْدَهُ جَمْعٌ، فَذَهَبْتُ أَنْتَظِرَ النَّاسَ، فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْكَ يَا وَابِصَةٌ، فَقُلْتُ: أَنَا وَابِصَةٌ، دَعُونِي أَذْنُو مِنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَذْنُو مِنْهُ، فَقَالَ لِي: «إِذْنُ يَا وَابِصَةٌ، إِذْنُ يَا وَابِصَةٌ»، فَذَنُوتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَقَالَ: «يَا وَابِصَةٌ أَخْبِرْكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ، أَوْ تَسْأَلُنِي؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: «يَا وَابِصَةٌ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَأَطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ فَتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»<sup>(١)</sup>. والشاهد هنا دعوته ﷺ لوابصة للدنو منه، والشاهد هنا قول وابصة: ( فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي<sup>(٢)</sup> )

#### ٩) معاملة الناس بما يحبون:

إذا أردت أن تُحِبَّ فعامل الناس كما تحبُّ أن يعاملوك، وإن محاولة الداعية إلى الله أن يتلمس ما يجب الناس في حدود الحلال، ويقدمه لهم في لون من المودة أمر عظيم ووسيلة دعوية مؤثرة، فإن النفوس سوف تقبل ما قدم، وتقبل على الداعية وتستجيب له محبة له ولما يصنع، وهكذا كان يعامل النبي ﷺ الناس حتى احتواهم بخلقه العظيم وعرفوه بالأمين، عن أنس رضي الله عنه قال: انطلقت بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ حين ولد، فأتيته النبي ﷺ وهو في عباءة يَهْنُو<sup>(٣)</sup> بعيراً له. فقال لي: «أَمَعَكَ تَمْرٌ؟» قلت: نعم فتناول تمرات، فألقاهن في فيه فلا كهن ثم حنكه ففغر الصبي فاه فأوجره فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله ﷺ «أَبَتِ الْأَنْصَارُ إِلَّا حُبَّ التَّمْرِ وَسَمَاءَ عَبْدِ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلَيْنَ. وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَنْ يَسَارِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَسْقِيَ خَالِدًا؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَحَبُّ أَنْ أُؤَثِّرَ، بِسُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى نَفْسِي أَحَدًا. فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَشَرِبَ وَشَرِبَ خَالِدٌ<sup>(٥)</sup>. قال الملا نور الدين علي القاري ( وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ: أَيْ سُورٍ أَحَدٍ عَلَى حَذْفٍ مُضَافٍ، وَهُوَ تَقْدِيرٌ حَسَنٌ ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ مَنَعَ الْإِثَارَ ؛ لِأَنَّهُ يُحْرَمُ عَنْ سُورِهِ ﷺ وَيَقَعُ لَهُ سُورٌ غَيْرُهُ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم - حديث وابصة بن معبد الأسدي، حديث رقم: ١٨٠٠١ (٢٩ / ٥٢٨) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جداً. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

(٢) وفي رواية عند مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، لِمُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ. وفي رواية زيادة: ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ ).

(٣) الهَاءُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَطْرَانِ، وَقَدْ هَنَأَ الْإِبِلَ يَهْنُوها وَيَهْنُها هَنَاءً وَهَنَاءً طَلَاهَا. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٨٤/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٧٩٦ (٢٠ / ١٨٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الأشربة - باب إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن، حديث رقم: ٣٤٢٦ (٥ / ١٨٠). حسنه الألباني.



؛ لَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَالِدًا مَا كَانَ يَشْرَبُ سُورَهُ كُلَّهُ، مَعَ إِفَادَةِ أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ فَرَاغُ اللَّبَنِ بِشُرْبِ خَالِدٍ، لَكَانَ الْمَمْتَنَاعُ مِنَ الْإِيثَارِ أَوْلَى لِلْحَرَمَانِ الْكُلِّيِّ، لَكِنْ غَفَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَنَّ سُورَهُ ﷺ، مَعَ بَقَاءِ سُورِ خَالِدٍ أَفْضَلُ، فَكَانَ الْإِيثَارُ مُوجِبًا لِلْأَكْمَلِ، فَإِنَّ سُورَ الْمُؤْمِنِ شِفَاءً<sup>(١)</sup> حبا في رسول الله ﷺ، وفقها لبركة فضلة شرا به ﷺ لم يؤثر ابن عباس رضي الله عنهما أحدا في هذا الفضل، هكذا الحب الصادق. عامل النبي ﷺ الناس بالحببة والأمانة؛ فأحبه الناس في قديم الزمان قبل الدعوة وبعدها، وفي حياته وبعد وفاته، وما زالت سيرته تؤثر في المسلم فيزداد إيمانا وطاعة، ويسلم الكافر إعجابا وقناعة بأنه الرسول النبي الأمي ﷺ الذي بشرت به الرسالات من قبله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث. وكان شخصه الطاهر ﷺ وخلقه الباهر وسيلة في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّمَائِلِ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري، دار الأقصى، ج ١ ، ص: ٣٠٤ - ٣٠٥.